

24 ربيع الأول 1448

06/09/2026

التفسير المحرر 4-10104-1.0

لَنْ تُدْرِكُوا الْخَيْرَ الْكَثِيرَ مِنَ اللَّهِ بِتَفَضُّلِهِ عَلَيْكُمْ، بِإِدْخَالِكُمْ
الْجَنَّةَ، وَصَرَفِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ- الَّذِي يُطَلِّبُ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ-
حَتَّى تُنْفِقُوا وَتَتَصَدَّقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي تَحِبُّهَا قُلُوبُكُمْ وَمَهْمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ ذُو عِلْمٍ بِهِ، وَيُجَازِي
صَاحِبَهُ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُنَبِّئُهُ عَلَى مَا أُنْفَقَ

إِنَّ كُلَّ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ كَانَ أَكْلُهَا حَلَالًا لِدُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، قَبْلَ نَزُولِ الثَّوْرَةِ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَدَا نَوْعًا
وَاحِدًا حَرَّمَ أَبُوهُمُ يَعْقُوبُ عَلَى نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَرِّمَهُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَحُومُ الْإِبِلِ وَالْبَنَاهَا، وَاتَّبَعَهُ الْيَهُودُ عَلَى
ذَلِكَ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الثَّوْرَةُ بَعْدُ، حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِيهَا مَا شَاءَ،
وَأَحَلَّ لَهُمْ فِيهَا مَا شَاءَ وَفَقِيَ حِكْمَتَهُ، فَكَانَ هَذَا نَسْخًا لِمَا سَبَقَ مِنْ
حِلِّهِ جَمِيعَ الْأَطْعِمَةِ لَهُمْ، سِوَى لَحُومِ الْإِبِلِ وَالْبَنَاهَا قُلَّ لَهُمْ- يَا
مُحَمَّدٌ:- جِئُوا بِالثَّوْرَةِ فَاقْرَؤُوهَا عَلَيْنَا بِأَنْفُسِكُمْ؛ حَتَّى لَا تَنْتَهَمُونَا
بِأَنَّا حَذَفْنَا أَوْ أَضْفَيْنَا شَيْئًا، فَاقْرَؤُوهَا، إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعَاكُمْ
فَمَنْ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْكَذِبَ بِإِدْعَاءِ أَنْ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
عَلَى نَفْسِهِ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْكَافِرُونَ
الْقَائِلُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْبَاطِلَ، وَالظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْعُدُولِ عَنِ
الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ

قُلْ- يَا مُحَمَّدٌ- لِأَوْلَيْكَ الْيَهُودُ: إِنَّ كُلَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
وَكُلَّ مَا شَرَعَهُ فَهُوَ صِدْقٌ، وَمِنْ ذَلِكَ: إِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى
الْيَهُودِ شَيْئًا مِنَ الْأَطْعِمَةِ قَبْلَ نَزُولِ الثَّوْرَةِ، إِلَّا مَا حَرَّمَ يَعْقُوبُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ، فَجَاءَ مَا فِي الثَّوْرَةِ مُوَافِقًا لِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ عَنْهُ؛ فَهُمْ كَذَبُوا، وَصَدَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِمَّا بَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي
كِتَابِهِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي

مَحَبَّتِكُمْ واعتزازكم بالانتساب إليه، فَاتَّبِعُوهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ اللَّهُ وَمِيلَانِهِ عَنِ الشِّرْكِ، وما كان إبراهيمُ مِنْكُمْ- مَعَشَرُ الْيَهُودِ- فِي عِدَادِ الْمَحْسُوبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ جَلًّا وَعَلَا

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لَجَمِيعِ النَّاسِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَطُوفُونَ بِهِ، وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ، وَيَعْتَكَفُونَ عِنْدَهُ- الْبَيْتُ الْحَرَامُ الْوَاقِعُ فِي مَكَّةَ، وَهُوَ الْكَعْبَةُ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي يَزْعُمُ كُلُّ مَنْ طَائِفَتِي النَّصَارَى وَالْيَهُودِ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَحْجُونَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ، وَنَادَى النَّاسُ إِلَى حَجِّهِ! وَهُوَ مَوْضِعُ مُبَارَكٌ؛ فِيهِ بَرَكَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ: كَالْأَجُورِ الْمُضَاعَفَةِ، وَالْأَرْزَاقِ الْوَفِيرَةِ، وَهُوَ مَنْارٌ يُهْتَدَى بِهِ، وَتَحَصَّلَ فِيهِ أَنْوَاعُ الْهَدَايَاتِ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ قِبْلَةٌ يَسْتَقْبِلُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَوَاتِهِمْ، وَيَقْصِدُونَهُ فِي حَجِّهِمْ وَعُمْرَاتِهِمْ

فِي هَذَا الْبَيْتِ أَدِلَّةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ، وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْخُسْنَى، وَفِيهِ عِلَامَاتٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى شَرَفِ هَذَا الْبَيْتِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمِنْ تِلْكَ الْعِلَامَاتِ، الْمَوَاضِعُ الَّتِي قَامَ فِيهَا الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَدَاءِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ: كَعَرَفَةَ، وَمُزْدَلِفَةَ وَمِئَى، وَمِنْ مَقَامَاتِهِ: الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ لِاسْتِكْمَالِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ لَمَّا ارْتَفَعَ بُنْيَانُهَا، وَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى شَرَفِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَفَضْلِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ: أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْحَرَمَ يَكُونُ بِمَعْزَلٍ عَنِ أَنْ يَنَالَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِسُوءٍ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَهَذَا امْتِنَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا تَقَرَّرَ فِي مَاضِي الْعَصُورِ، وَبِمَا هُوَ مُتَقَرَّرٌ شَرْعًا

ويجب لله على الناس قصد بيت الله الحرام لأداء شعيرة الحج لمن قدر من أهل التكليف على القصد إليه، وذلك بتوفر القدرة المالية والبدنية وغيرهما مما يُحقق الاستطاعة، ومن جحد فرض الحج فأنكر وجوبه وكفر به، فإن الله غني عنه، وعن حجه، وعن سائر خلقه

قُلْ- يا مُحَمَّدُ- لأصحاب التَّوراة والإنجيل مُوبِّخًا لهم: يا معشر اليهود والنَّصارى، ما الذي يَحِمِّلكم على جحد حُجِّ الله تعالى التي جاءت بها كُتُبكم، التي تُثَبِّت نبوتِي وصدق ما جئتُ به من الله تعالى؛ فلم تَجْحَدُون ذلك وأنتم على عِلْم بالحقِّ، والله تعالى شهيدٌ على كُفْرِكُمْ؟! فإنَّه سبحانه لا يَخْفَى عليه شيءٌ، وسيُجازيكم على كُفْرِكُمْ بما تَسْتَحِقُّون

قُلْ- يا مُحَمَّدُ- لأهل الكتاب مُوبِّخًا: يا معشر اليهود والنَّصارى لِمَ تُضِلُّون عِبَادَ الله المؤمنين عن طريق الله الذي جئتُ به من عند الله والمُوصِل إلى الله، تُريدون انحرافَ هذا الطريق عن استقامته؛ ليزيغَ بالمؤمنين مِنَ الهدى إلى الضلال، والحال أنكم تعلمون الحقَّ؛ مُصادقًا لِمَا تَجِدُونه في كُتُبكم كصفة محمد صلى الله عليه وسلَّم، وتعلمون سوءَ ما تَصْنَعُونَ؟! وليس الله عزَّ وجلَّ بغافلٍ-أيُّها اليهود والنَّصارى- عن ضلالكم وإضلالكم، بل يُحصي أَعْمَالكم، وعليها يُجازيكم

يا أيُّها المؤمنون، إذا أَطَعْتُمْ تلك الفئنة من أهل التَّوراة والإنجيل، الحريصة على رَدِّكم إلى الكُفْرِ، التي تَسْعَى جاهدةً بكلِّ ما تَسْتَطِيع، وتبذل محاولاتٍ مُضْنِيَّةً في سبيل ذلك، فَقَبِلْتُمْ منهم ما يأمرُونكم به؛ فإنَّكم سَتُحَقِّقُون لهم ما يَبْتَغُونَ بإخراجكم من الإيمان الذي تَعْتَقِدُون إلى الكفر

وكيف تَرْتَدُّونَ عن إيمانكم -أيها المؤمنون- ومعكم ما يُنَبِّتُكُمْ عليه، ويمنعكم من الارتداد عنه، وهو القرآن الذي تُقرأ عليكم آيأته، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي بين أظهركم؛ إذ يُبَلِّغُه ويُبَيِّنُه لكم. ومَن يتعلَّق بأسباب الله مُتمسِّكًا بدينه مُتَوَكِّلًا عليه، فقد وَفَّقَ لطريقٍ واضحٍ غير مُعَوَّجٍ، فيستقيمُ به حتى يُوصِلَه إلى رضوان الله، وإلى النِّجاة من عَذابه والفوز بجَنَّته سبحانه

يا أيُّها المؤمنون ابدلوا كُلَّ جَهْدكم وطاقتكم؛ لَتَمْتَلُوا أوامرَ الله عزَّ وجلَّ وتَجْتَنِبُوا نواهيه، ولتَحَقِّقُوا تقوى الله تعالى الاتِّقاءَ الحقَّ الواجبَ الثابتَ بقَدْر ما تستطيعون، وداوموا في حياتكم على التَّمسُّكِ بدين الإسلام، وحافظوا عليه حتى يَأْتِيَكُم الموتُ وأنتم على ذلك

وَتَمَسَّكُوا بدين الله، وعهده إليكم بالألفة والاجتماع على كلمة الحقِّ، ولا تَرْتَكِبُوا ما يُفَرِّقُ جَمْعكم عن هذا الدين والعهد، واذكروا بقلوبكم وألسنتكم -أيُّها المؤمنون- ما أَنْعَمَ اللهُ به عليكم من الألفة والاجتماع على دين الإسلام، فقد كنتم من قبل اعتناقكم الإسلامَ أعداءً مُتَفَرِّقِينَ، يُقَاتِلُ بعضُكم بعضًا، في غير طاعة الله، فَجَمَعَ اللهُ بالإسلامِ قلوبكم، فجعلَ بعضكم لبعضٍ إخوانًا مُتَحَابِّينَ.

وكنتم -أيُّها المؤمنون- قبل اجتماع قلوبكم على الإسلام، على وَشَكِّ الوقوع في النار، إذ لم يبقَ بينكم وبينها إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا على كُفْرِكُمْ، فَأَنْقَذَكُم اللهُ تعالى منها بهدائيتكم إلى الإسلام، وبمثل هذا الوضوح الذي بيَّن اللهُ تعالى به ما تَقَدَّمَ من الآياتِ الدَّالَّاتِ على الحقِّ القويم، يُبَيِّنُ أيضًا بوضوح بَقِيَّةِ

الآيات الأخرى؛ لأجل أن تحصل لكم بها الدلالة على طريق الحق وتوقفوا لسلكه

ولتوجد منكم- أيها المؤمنون- فرقة مُتَصِدِّية للقيام بشأن الدعوة إلى دين الله تعالى وبيان شرائعه، وقائمة بواجب أمر الناس بامتنال ما أمرهم به الشرع، ونهيهم عن ارتكاب ما نهاهم عنه؛ فإنَّ المتَّصِفِينَ بهذه الصِّفات هم الفائزون في الدَّارين بما يَرْغَبُونَ، والنَّاجُونَ فِيهِمَا مِمَّا يَرْهَبُونَ

ولا تكونوا -يا معشرَ المؤمنين- مُتَفَرِّقِينَ فِي دِينِكُمْ، كما تَفَرَّقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ -وَمِنْهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ، فَأَصْبَحُوا أَحْزَابًا مُخْتَلَفَةً-، وَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ دَلَالَةُ الْحَقِّ الْوَاضِحَاتِ، وَعَلِمُوا الْحَقَّ الْمُبِينِ، فَوَقَعُوا فِي مُخَالَفَتِهِ عَامِدِينَ، وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى مُتَجَرِّبِينَ، وَلِهَذَا عَذَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَظِيمٌ؛ فَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فَيَكُونَ لَكُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ

يوم القيامة تكونُ وجوهُ أهل السعادة بيضاء، وهم الذين اعتصموا بحبلِ الله جميعاً، وابتلغوا بينهم، وتكونُ وجوهُ أهل الشقاوة سوداء، وهم الذين تفرَّقوا بعدَ ظهورِ البينات لهم، فأما الَّذِينَ اسودَّت وجوهُهُمْ، فيُقال لهم توبيخاً وتقريعاً: أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَهْدِهِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُمْ بَلًّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً؟! فَذُقُوا إِذَنْ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى؛ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ هَذَا

وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ قَدْ ابْيَضَّتْ وَجوهُهُمْ فَهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي جَنَّتِهِ مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ، مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ

تلك الآيات التي تقدّمت -ومنها ما ذكره الله تعالى من ثواب المؤمنين وعذاب الكافرين-، نقرؤها عليك- يا محمّد- بالصدق المطابق للواقع؛ صدقًا في أخبارها، وعدلًا في أحكامها، وإنّ الله تعالى لا يظلم أحدًا مطلقًا؛ لأنّه غير مريد للظلم سبحانه، ومن ذلك أنّه لا ينقص أحدًا شيئًا من الحسنات، ولا يزيد على أحد شيئًا من السيّئات

وإنّ الله تعالى هو وحده المالك لجميع ما في السمّوات وما في الأرض، والخالق الرازق المدبّر، هو الذي يتصرّف في شؤون عبّيده، والحاكم عليهم في الدّنيا والآخرة، ومن ذلك رجوع النّاس إليه يوم القيامة؛ ليُجازيهم بأعمالهم؛ إنّ خيرًا فخير، وإنّ شرًّا فشرُّ

أنتم- يا أمة الإسلام- قد جُعِلتم خير الأمم وأكرمها على الله تعالى؛ لأسبابٍ أنعم الله بها عليكم، حُرّتم خير يتيّكم بأمركم النّاس بكلّ ما يأمر به الشرّع، ونهيكم لهم عن كلّ ما ينهى عنه، ولأنّكم تؤمنون بالله تعالى، ولو آمن أهل التّوراة والإنجيل من اليهود والنّصارى بمحمّد صلى الله عليه وسلّم، وما جاءهم به من عند الله عزّ وجلّ، لاهتدّوا وكان ذلك خيرًا لهم عند الله في دنياهم، وآخرتهم، ولكن لم يؤمن منهم إلّا القليل، وأمّا أكثرهم فخارجون عن طاعة ربّهم، وخارجون عن دينهم الذي فيه صفات محمّد صلى الله عليه وسلّم، والأمْر باتّباعه

لن يضرّكم- يا أمة محمّد- هؤلاء الفاسقون من اليهود والنّصارى، في دينكم ولا في أديانكم، وإنّما غاية ما تلقّون منهم أذية اللسان، كإسماعكم كُفّرهم، ودُعائهم إيّاكم إلى الضّلالة،

ولا يَصْرُونَكُمْ بذلك، قد ردَّ الله تعالى كيدهم في نُحُورِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ
لَوْ قَاتَلُوكُمْ لَلَأْتُوا بِالْفِرَارِ، ثم تستمرُّ هزيمتهم ويدومُ ذُلُّهم
أُلْزِمَ الْيَهُودُ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ، فُجِّلَ ذَلِكَ أَمْرًا مَحْتَوًّا عَلَيْهِمْ،
لَا يُفَارِقُهُمْ حَيْثُمَا وُجِدُوا وَأَيْنَمَا كَانُوا، لَكِنَّهُمْ يَأْمَنُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ بَعْدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَهْدٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ
انصَرَفُوا مُسْتَحَقِّينَ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أُلْزِمُوا قَدْرًا وَشَرْعًا
بِالذِّلِّ فِي بَوَاطِنِهِمْ، غُوقِبُوا كَذَلِكَ بِبُذُورِ أَثَرِ الْحَاجَةِ وَذُلِّ الْفَاقَةِ
عَلَى ظَوَاهِرِهِمْ، وَقَدْ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْعُقُوبَاتُ الْمَذْكُورَةُ؛
بِسَبَبِ كُفْرِهِم الدَّائِمِ بِدَلَائِلِ الْحَقِّ بَغْيًا وَعِنَادًا، وَقَتْلِهِمِ الْمُسْتَمِرِّ
لَأَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ ظُلْمًا وَاعْتِدَاءً، إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الْكُفْرِ
وَالْقَتْلِ أَنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُسْتَمِرُّونَ فِي
الْإِعْتِدَاءِ عَلَى حُدُودِ شَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى

ليس جميعُ أهلِ الكتابِ على حدٍّ سواءٍ، فَلَا يَسْتَوِي مَنْ تَقَدَّمَ
ذَمُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْهُمْ، فَإِنَّ مِنْهُمْ
جَمَاعَةً ثَابِتَةٌ عَلَى الْحَقِّ، مُتَمَسِّكَةٌ بِهِ، مُسْتَقِيمَةٌ عَلَى هَدْيِ الْقُرْآنِ
وَالسُّنَّةِ، يَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَهُمْ يَصْلُونَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: كَالْبَعْثِ،
وَالْحَشْرِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ، وَيَأْمُرُونَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ مِنْ مُعْتَقَدَاتٍ وَأَعْمَالٍ،
وَيَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ مُعْتَقَدَاتٍ وَأَعْمَالٍ، وَيَبْتَذِرُونَ
فِعْلَ الْخَيْرَاتِ؛ خَشْيَةَ الْقَوَاتِ بِحُلُولِ وَقْتِ الْمَمَاتِ، وَهَؤُلَاءِ
الَّذِينَ قَامُوا بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هُمْ
فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ عِدَادِ الصَّالِحِينَ

وإِنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْ خَيْرٍ (قليلًا كان أو كثيرًا) فلن يُجْحَدَ وَيَذْهَبَ سُدًى بِلا ثَوَابٍ وَلَا مُجَازَاةٍ، بل سَيُشْكِرُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَيُجْزَوْنَ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجِزَاءِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ قَصَدَ تَقْوَاهُ وَأَرَادَ رِضَاهُ، بِامْتِنَالٍ أَوْ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَاؤُهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُ سَبَبًا فِي رَحْمَتِهِمْ وَقَدْ كَانُوا يَغْتَرُونَ بِهِمَا وَيَعِدُونَهُمَا لِلشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ، وَهَؤُلَاءِ سَيُظَلُّونَ مُلَازِمِينَ لِنَارِ جَهَنَّمَ مَا كَثُرَتْ فِيهَا بِلا نِهَايَةٍ

إِنَّ مَا يُنْفِقُهُ الْكَافَرُ مِنْ صَدَقَاتٍ، وَمَا يُنْفِقُونَهُ مِنْ أَمْوَالٍ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، نَفَقَاتٌ بَاطِلَةٌ، وَثَوَابُهَا الَّذِي يَرْجُونَهُ مُضْمَحِلٌّ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِثْلُهُ كَمِثْلِ رِيحٍ عَاصِفٍ شَدِيدَةٍ الْبُرُودَةِ، قُوَّةِ الصَّوْتِ، قَدْ سُلِطَتْ عَلَى زَرْعِ أَنْاسٍ اسْتَحْقُوا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، فَدَمَّرَتْ زَرْعَهُمْ وَأَصْبَحَ يَابِسًا، بَعْدَ أَنْ أَمَلُّوا حَصَادَهُ، وَرَجَوْا الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ خَيْرَاتِهِ. وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِؤُلَاءِ الْكَافَرِ، مِنْ إِبْطَالِ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ، لَيْسَ ظُلْمًا لَهُمْ، فَهَمُ أَهْلُ لَهُ، وَإِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حَيْثُ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَذَّبُوا رِسُولَهُ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَجْعَلُوا مِنْ خَاصَّةِ أَصْدِقَائِكُمْ وَالْمُقَرَّبِينَ مِنْكُمْ أَنْاسًا مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، كَفَّارًا أَوْ مُنَافِقِينَ؛ فَيَطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِكُمْ، أَوْ يَتَوَلَّوْا لَكُمْ أَعْمَالًا، أَوْ تَجْعَلُوا لَهُمْ مَنَاصِبَ وَنِفُودًا؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَتْرَكُونَ مَجَالًا يُمَكِّنُ أَنْ يُفْسِدُوا أَحْوَالَكُمْ فِيهِ إِلَّا وَسَعُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ طَاقَتِهِمْ، وَلَا يُقَصِّرُونَ فِي الْإِحَاقِ أَنْوَاعِ الضَّرْرِ بِكُمْ،

وَيُحِبُّونَ وَيَتَمَتُّونَ بِكُلِّ قُلُوبِهِمْ وَقَوْعَ الضِّيقِ، وَحصول
المشقة عليكم في دينكم وأموالكم وأبدانكم، وكلِّ ما يسوؤكم،
قد ظهرت على قَلَاتِ ألسنتهم البغضاء لكم، فلم يَسْتَطِيعُوا
كِتْمَانَهَا، وَإِنَّ ما انطوت عليه صدورهم من الكراهية للإسلام
وأهله أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَانَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ،

قد أَظْهَرْنَا لكم بوضوح- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى،
ومنها العلاماتُ والبراهين التي تُظْهِرُ لكم أَمْرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
حَذَرْنَاكم مِنْ اتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةً، فَتَتَمَكَّنُوا مِنْ خِلَالِهَا مِنَ التَّفَرُّقَةِ
بَيْنَ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ آيَاتِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا
يَخْفَى عَلَى لَبِيبٍ عَاقِلٍ

ها أَنْتُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- تُحِبُّونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ
اتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةً، وَتُرِيدُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَهُمْ لَا يُحِبُّونَكُمْ، بَلْ
يُبْغِضُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ لَكُمْ السُّوءَ وَالضَّرَرَ؛ فَكَيْفَ تُحِبُّونَهُمْ؟!
وإِنَّكُمْ تَوْمِنُونَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ حَرَّفُوا وَبَدَّلُوا مَا
أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ، فَالْأَوَّلَى بِكُمْ إِذْنُ أَنْ تُعَادَوْهُمْ وَتُبْغِضُوهُمْ،

وَإِذَا لَقَوُكُمْ أَعْلَنُوا لَكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِيْمَانَهُمْ نِفَاقًا مِنْهُمْ، وَإِذَا
صَارُوا فِي خِلَاءٍ مَعَ أَضْرَابِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ، عَضُّوا
أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَقِّ وَالْغَيْظِ عَلَى مَا يَرُونَ مِنْ
اتِّتِلَافِكُمْ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِكُمْ عَلَى الْحَقِّ، قُلْ- يَا مُحَمَّدُ- لَهُؤُلَاءِ:
لِتَهْلِكُوا بِغَيْظِكُمْ الَّذِي بِكُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتِمُّ
نِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَسَتَرُونَ مِنْ عِزِّ الْإِسْلَامِ وَذُلِّ الْكُفْرِ مَا
يَسُوؤُكُمْ،

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ صُدُورُ هَؤُلَاءِ
مِنَ الْغِلِّ وَالْبَغْضَاءِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَعْلَمُ أَيْضًا مَا تَحْوِيهِ
صُدُورُ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَيَحْفَظُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ؛ لِيُجَازِيَ كُلًّا مِنْهُمْ بِمَا
يُكِنُّهُ قَلْبُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ

إِنْ تَنَالُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- سُرُورًا بِظَهْوَركُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ،
أَوْ بكَثْرَةِ أَنْصَارِكُمْ، أَوْ ظَفَرْتُمْ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، أَوْ
بِحَصُولِ الْعَافِيَةِ لَكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ، يَغْمُّهُمْ ذَلِكَ
وَيُحْزَنُهُمْ، وَإِنْ تَنَالُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَا يَسُوؤُكُمْ كَانْتِصَارِ
عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَوْ حُدُوثِ اخْتِلَافٍ بَيْنَكُمْ، أَوْ وَقُوعِ جَذَبٍ فِي
أَرْضِكُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرِّ، فَإِنَّهُمْ يُسْرَتُونَ بِذَلِكَ،
وَإِنْ تَصَبَّرُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- عَلَى كُلِّ مَا وَجَبَ عَلَيْكُمْ
الصَّبْرُ عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَقْدَارُهُ سُبْحَانَهُ، وَتَمَتَّتِلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ
تَعَالَى بِهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا نَهَاكُمُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
كُلَّ كَيْدٍ لِلْأَعْدَاءِ، وَكُلَّ ضَرَرٍ أَرَادُوا إِلْحَاقَهُ بِكُمْ، فَتَسَلَّمُوا مِنْ
أَذَاهُمْ،

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا يَقُومُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارُ مِنْ كَيْدٍ وَضُرٍّ بِأَهْلِ
طَاعَتِهِ، مُحِيطٌ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ
يُحْصِيهِ عَلَيْهِمْ وَيُجَازِيهِمْ بِهِ

وَادْكُرْ- يَا مُحَمَّدُ- حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ مُغَادِرًا الْمَدِينَةَ،
لِللِقَاءِ الْمَشْرُكِينَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَأَخَذْتَ تُنْزَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
مَوَاضِعِ الْقِتَالِ الَّتِي يَثْبُتُ فِيهَا الْجَيْشُ، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا
لَانْقِطَاعُ بَتَحَرُّكَاتِهِ، كُلِّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَصْلُحُ لَهُ مَيْمَنَةٌ أَوْ مَيْسَرَةٌ
وغير ذلك، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لْجَمِيعِ الْمَسْمُوعَاتِ وَمِنْ ذَلِكَ سَمِعَهُ لِمَا
تَتَشَاوَرُ فِيهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ حَوْلَ مَوْضِعِ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ عَلِيمٌ

لا يخفى عليه شيء ومن ذلك علمه بما تُخفيه صدورُ المُشيرين من المؤمنين والمنافقين من نِيَّاتٍ، فيُحصي على عبادِه ما يقولون ويعملون، وبحسَب ذلك يُجازون

واذكر إذ حَدَّثَ بنو سَلَمَةَ وبنو حارثة أنفسهم بالفرار والانصرافِ عن القتال مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ أُحُدٍ؛ خوفًا وضَعْفًا من لِقَاءِ العدوِّ، لا شَكًّا منهم في الإسلام ولا نفاقًا، وقد عصَمهم اللهُ ممَّا هُمُّوا به، فثَبَّتَهُم بِرعايته الخاصَّة، وأَيَّدَهُم ووفَّقَهُم لِيَمضُوا مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِقِتالِ الأعداء، وعلى اللهُ تعالى وحده اعْتَمَدُوا بِصِدْقِ- أَيُّهَا المؤمنون- في كُلِّ شَأْنٍ؛ جَلْبًا للخيرات، أو دَفْعًا للكريهات

ولقد نصرَكم اللهُ على عدوِّكم فغلبتُموهم في الغزوة التي دارَتْ في محلَّةِ بَدْرٍ، والحال أنَّكم يومئذٍ ضعفاء، فقليلٌ عدُّكم وعُدُّكم، وكنتم في غير مَنَعَةٍ من النَّاسِ، وهم كانوا أَكثَرَ منكم عَدَدًا وعُدَدًا، فَإِنَّ تَصَبُّرَوا لأمرِ اللهِ وتَتَّقُوهُ سبحانه يَنصُرْكم كما نصرَكم في ذلك اليوم؛ لأنَّ الله تعالى جعلَ لكم الغَلَبَةَ يومَ بدرٍ، فاتَّقُوهُ بامْتِثالِ أوامره، واجتَنابِ نواهيه؛ لتكونوا بِذلك من الشَّاكرين له على ما مَنَّ به عليكم من النَّصرِ على الأعداء، وجَعَلْكم مِن بعد الهوانِ أعزَّاء

اذكُرْ- يا مُحَمَّدُ- حينَ قُلْتَ للمؤمنين من أصحابك مُبَشِّرًا لهم: أَلَّا يَكُونَ كافِيًا إِمْدادُ اللهِ تعالى لَكُم بثَلَاثةِ آلافٍ من الملائكة، يُنْزِلُهُم الرَّبُّ سبحانه من السماء، لِيُقَاتِلُوا معكم المشركين يومَ بَدْرٍ؟

بلى هذا الإِمْدادُ يَسُدُّ حاجَتَكُمْ، ولكن إِنْ استعملْتُم الصَّبْرَ في كُلِّ ما وجب فيه الصَّبْرُ، ولَزِمْتُمُ النَّقْوَى بامْتِثالِ أوامرِ اللهِ تعالى واجتَنابِ نواهيه، وخرجَ المشركون عليكم مباشرةً من حيث

خَرَجُوا مُسْرِعِينَ إِلَيْكُمْ، فِي حِدَّةٍ وَحَرَارَةٍ لِقَاتِكُمْ فَإِنَّ رَبَّكَ الَّذِي
لَهُ بِكُمْ عَنَاءٌ خَاصَّةٌ، يُزَوِّدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا وَعَدَكُمْ مِنْ قَبْلِ بَزِيَاةِ
الْفَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَأْتُونَكُمْ وَعَلَيْهِمْ أَوْ عَلَى خِيُولِهِمْ عِلَامَةُ
الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَكْتَرِثُونَ بِأَنْ يَعْرِفَهُمْ
عَدُوُّهُمْ مِنْ شِدَّةِ شَجَاعَتِهِمْ

وَمَا أَخْبَرَكَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِنَبَأِ إِمْدَائِكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ إِلَّا لِإِدْخَالِ
السُّرُورِ عَلَيْكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ، فَتَسْكُنْ وَلَا يُصِيبُهَا الْهَلَكُ
وَالْإِنْزِعَاجُ مِنْ تَفَوُّقِ عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْعَدَدِ وَالْعُدْدِ، وَلَا يَتَحَقَّقُ
لَكُمْ الظَّفَرُ بِعَدُوِّكُمْ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا، وَبِهِ
فَاسْتَعِينُوا، لَا عَلَى مَا أُوتِيتُمْ مِنْ أَسْبَابٍ؛ فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّ لَهُ
كُلُّ الْخَلَائِقِ فَهُمْ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ وَقَهْرِهِ، وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ،
وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا فَيَتَصَرَّفُ فِي عِبَادِهِ
بِحِكْمَتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَنْصُرُ أَوْلِيَائِهِ كَمَا فِي بَدْرٍ، أَوْ يُقَدِّرُ
هَزِيمَتَهُمْ، كَمَا وَقَعَ فِي أَحَدٍ

يَنْصُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لِيَهْلِكَ بَعْضُ الْكَفَّارِ وَمِنْ
ذَلِكَ اسْتِنْصَالُ صِنَادِيهِمْ، وَأَسْرُ بَعْضِهِمْ، وَقَتْلُ آخَرِينَ، كَمَا
وَقَعَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَوْ الْاسْتِيْلَاءُ عَلَى أَرْضِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ،
أَوْ يُخْزِي بَعْضَهُمْ، وَيُصِيبُهُمْ بِالْغَمِّ وَالْحَزَنِ بِسَبَبِ رُجُوعِهِمْ
مُحْمَلِينَ بِالْخِيْبَةِ وَالْفُشْلِ الذَّرِيعِ؛ إِذْ لَمْ يَنَالُوا مَا أَمَلُوا مِنْ
الْإِنْتِصَارِ عَلَيْكُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

إِنَّ شَأْنَ أَوْلَئِكَ الْكَفَّارِ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا إِلَيْكَ- يَا مُحَمَّدُ-
؛ فَاتْرُكْ أَمْرَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَامْضِ أَنْتَ لَشَأْنِكَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ
رَبِّكَ، فَإِمَّا أَنْ يُوقِفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِلدُّخُولِ فِي دِينِهِ، فَيُسَلِّمُوا مُحَضَّرِينَ
فَضْلًا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَةِ عَذَابًا مِنْهُ

سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، بَاعْتَنَاقِهِمُ الْكُفْرَ وَارْتِكَابِهِمُ الْمَعَاصِيَ

إِنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، يَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا شَاءَ، يَتَجَاوَزُ عَنْ عِقَابِهِ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ فَضْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَيُعَاقِبُ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ عَذْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ دُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَوَازِينِ بِهَا، رَحِيمٌ قَدْ غَلِبَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبُهُ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ سَعَةٌ إِحْسَانِهِ إِلَى عِبَادِهِ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تَتَعَاطَلُوا بِالرَّبِّ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَتَعَاطَلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَلَّ الدِّينُ عَلَى الْمُعْسِرِ وَلَمْ يَتِمَّكَ مِنْ سَدَادِهِ فِي وَقْتِهِ، قَالُوا لَهُ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَ، وَإِمَّا أَنْ تُرْبِي، أَي: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَنَا مَا عَلَيْكَ مِنَ الدِّينِ، أَوْ تُزِيدَكَ فِي الْمَدَّةِ، وَتُزِيدَنَا عَلَى الْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ، فَرَبَّمَا تَضَاعَفَ الْقَلِيلُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ حَتَّى يُصْبِحَ كَثِيرًا جَدًّا، وَامْتَثِلُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَاجْتَنِبُوا مَا نَهَاكَمُ عَنْهُ، وَمَنْ ذَلِكَ أَكْلُ الرِّبَا؛ كَيْ تَظْفَرُوا بِمَا تَطْلُبُونَ، وَتَنْجُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِمَّا مِنْهُ تَحْذَرُونَ

وَامْتَثِلُوا أَوْامِرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، وَمِنْهَا: تَرْكُ أَكْلِ الرِّبَا؛ فَإِنَّهُ وَقَايَةُ لَكُمْ مِنَ النَّارِ، الَّتِي هُيِّئَتْ مُسَبِّقًا لِكُلِّ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

اعْمَلُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِمَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَرَسُولُهُ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاكَمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ مِنْ أَكْلِ الرِّبَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ؛ لِتَرْحَمُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَلِيُسَابِقَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ؛ لِلْحَصُولِ عَلَى مَغْفَرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِيُسَابِقَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

بالمبادرة إلى ما يُحَقِّق - بإذن الله تعالى - دُخُولكم الجَنَّةَ، التي يَبْلُغ عَرْضُهَا مِثْلَ عَرْضِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وقد هُيِّئَتْ مُسَبِّقًا للذين اتَّقُوا الله تعالى بامتثالِ أوامره، واجتنابِ نواهيه؛ فَهُم أَهْلُهَا وساكنُوها

إِنَّ من صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، أَنَّهُمْ يَتَصَدَّقُونَ بِاستمرارٍ، في اليسر والعسر وفي جميع الأحوال، سواء كانوا في حال سُرورٍ - بتوفر المال وَرَغَدِ العيش - أو أَصَابَهُم الضرُّ وضيقُ العيش؛ لِقَلَّةِ ذاتِ اليدِ، وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَيْضًا: السَّيْطَرَةُ التَّامَّةُ على غَضَبِهِم مَهْمَا بَلَغَتْ شِدَّتُهُ فيحبسون ما في قلوبهم من الغيظ والرغبة في الانتقام إِذَا نالَتْهم أَذِيَةٌ، وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَيْضًا صَفْحُهُمْ وَتَجَاوُزُهُم عن مؤاخَذَةِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ مع قُدْرَتِهِمْ على الانتقامِ مِنْهُ،

والله تعالى يحب كل محسن، ويدخل في عُموم الإحسان جميع ما سبق ذَكَرْهُ من صفاتِ الْمُتَّقِينَ

إِنَّ من صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَنَّهُمْ إِذَا ارْتَكَبُوا فَعْلَةً قَبِيحَةً قَدْ تَجَاوَزَتْ الْحَدَّ فِي الفسادِ، أو ظَلَمُوا بَأَنْفُسِهِمْ بفعل غير الذي كان يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بها، من رُكُوبِهِمْ عُمُومَ مَعْصِيَةِ اللهِ سبحانه، كَبِيرَةً كَانَتْ أو صَغِيرَةً، إِنَّهُمْ إِنْ وَقَعُوا فِي ذَنْبٍ، ذَكَرُوا رَحْمَتَهُ سبحانه وَنِعَمَهُ عَلَيْهِمْ، وما أَعَدَّ لِلطَّائِعِينَ من ثوابٍ، وَذَكَرُوا عَظَمَتَهُ، وَبَطْشَهُ وَعِقَابَهُ، فَاسْتَغْفَرُوا طَالِبِينَ مِنْهُ السَّتْرَ وَعَدَمَ المؤاخَذَةِ على ذُنُوبِهِمْ، وَلَا يَغْفِرُ ذُنُوبَ الْعِبَادِ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ تعالى، وَإِنَّهُمْ يُقْلِعُونَ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا يُقِيمُونَ عَلَيْهِ - وَإِنْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ - وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا ارْتَكَبُوهُ مَعْصِيَةٌ، وَأَنَّهُمْ مُعَرَّضُونَ لِلْعُقُوبَةِ إِنْ أَصْرُوا عَلَيْهَا، وَيَعْلَمُونَ وَجُوبَ التَّوْبَةِ مِنْهَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ

إِنَّ أَوْلَئِكَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَ أَوْصَافِهِمْ، لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ مُقَابِلَ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَهُوَ أَوْلاً مَغْفَرَةً اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِسِتْرِ ذُنُوبِهِمْ، وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الْمُعَاقَبَةِ بِهَا، فَيَنْجُونَ بِذَلِكَ مِمَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ، وَيُثَابُونَ ثَانِيًا بِدُخُولِ الْجَنَّاتِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا الْأَنْهَارُ الْمَتَنَوِّعَةُ، فَيَمْكُثُونَ فِيهَا بِلَا نِهَايَةٍ، وَبِذَلِكَ يَفُوزُونَ بِمَا كَانُوا يَأْمُلُونَ، وَنِعَمَ جَزَاءِ الْعَامِلِينَ لِلَّهِ تَعَالَى مَغْفِرَتُهُ، وَالْخُلُودُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ

قَدْ مَضَى عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ طَرَائِقُ الْهِيَئَةِ جَارِيَةً بِاعْتِيَادٍ عَلَى الْخَلْقِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَكُونَ النَّصْرُ وَالْهَزِيمَةُ سِجَالًا وَمَدَاوِلَةً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ: إِمْهَالُ الْكَفَّارِ وَاسْتِدْرَاجُهُمْ حَتَّى يَحِينُ مَوْعِدُ إِهْلَاكِهِمْ، وَإِنْجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِ ابْتِلَائِهِمْ؛ فَتِلْكَ أُمْتَلَةٌ صَالِحَةٌ لِلْعِظَةِ وَالْإِعْتِبَارِ، فَسِيرُوا عَلَى أَقْدَامِكُمْ وَبِقُلُوبِكُمْ، نَاطِرِينَ وَمُتَفَكِّرِينَ فِيمَا بَقِيَ لِلْأُمَمِ الْكَافِرَةِ السَّابِقَةِ مِنْ آثَارِ أَرْضِيَّةٍ، تَقِفُ شَاهِدَةً عَلَى جَرِيَانِ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْكَافِرِينَ بَعْدَ إِمْهَالِهِمْ وَاسْتِدْرَاجِهِمْ، حَيْثُ كَانَتْ نِهَائُهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ وَتَدْمِيرِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ؛ جَزَاءً تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ - وَمِنْ ذَلِكَ: الْآيَاتُ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا - يُبَيِّنُ لِعُمُومِ النَّاسِ الْأُمُورَ بِوُضُوحٍ تَامٍّ، فَيُعَرِّفُ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتَتَكَشَّفُ بِهِ الْحَقَائِقُ، فَيَتَمَيَّزُ مِنْ خِلَالِهِ أَهْلُ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يُرْشِدُ أَهْلَ النَّقْوَى - الَّذِينَ دَأَبُوا عَلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ - إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ، وَيَزْجُرُهُمْ عَنِ سُلُوكِ طُرُقِ الْغَيِّ وَالْفَسَادِ

ولا تَضَعُوا ولا تَتَنَبَّطُوا- أيُّها المؤمنون- عن جِهَادِ عَدُوِّكُمْ،
ولا يُصِيبَنَّكُمْ الحَزَنُ؛ بسببِ الهزيمةِ التي تَعَرَّضْتُمْ لَهَا مِنْ قَبْلِ
عَدُوِّكُمْ يَوْمَ أَحُدَ، وما نالَكُمْ فِيهِ مِنْ قَتْلِ وَجَرَا ح؛ فَأَنْتُمْ الْأَعْلَى
دَائِمًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ حَتَّى لو كُنْتُمْ مَغْلُوبِينَ، ما دُمْتُمْ بَاقِينَ
عَلَى إِيْمَانِكُمْ؛ فَإِنَّ هَذَا الْوَهْنَ وَالْحَزْنَ غَيْرُ لائِقٍ بِالْمُؤْمِنِينَ
إِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَصَابَتْكُمْ جَرَا ح، وَقُتِلَ مِنْكُمْ جَمَاعَةٌ فِي غَزْوَةٍ
أَحُدَ، فَقَدْ أَصَابَ أَعْدَاءَكُمْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ قَتْلِ وَجَرَا ح فِي
أَحُدَ أَوْ بَدْرَ، فَتَسَاوَيْتُمْ أَنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَلَا تَتَبَتَّسُوا، فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَجْعَلُ الْأَيَّامَ دُولًا بَيْنَ النَّاسِ؛ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَيُصِرُّهُمْ
كَيْفَ يَشَاءُ؛ فَمَرَّةً يُدِيلُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، فَتَكُونُ لَهُمْ
الْغَلْبَةُ، وَمَرَّةً يُدِيلُ الْأَعْدَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَتَكُونُ الْغَلْبَةُ لَهُمْ؛
فَفِي بَدْرٍ كَانَ النُّصْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي أَحُدٍ كَانَ النُّصْرُ لِلْمُشْرِكِينَ،
وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصِرُّ الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ نَصْرًا وَهَزِيمَةً؛ لِيُظْهَرَ
بِذَلِكَ صَادِقُ الْإِيْمَانِ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَاقٍ عِلْمِهِ
فِي الْأَزْلِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لو كَانُوا دَائِمًا مَنصُورِينَ، فَإِنَّ الْجَمِيعَ
سَيُظْهِرُونَ لَهُمُ الْمَوَالَاةَ، وَلَنْ يَتَمَيَّزَ أَعْدَاؤُهُمْ مِنْ أَوْلِيائِهِمْ حَقِيقَةً،
وَمِنْ أَسْبَابِ إِدَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ بِتَمَكِينِهِ لِلْكَفَّارِ أحيانًا
عَلَى بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ: إِكْرَامُ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالشَّهَادَةِ بِالْقَتْلِ فِي
سَبِيلِهِ، كَمَا وَقَعَ يَوْمَ أَحُدَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ

وَمِنْ حِكْمِ إِدَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْقِيَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، سِوَاءِ
بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ قَتْلِ، أَوْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ جَرَا ح، وَمِنْ ذَلِكَ أَنََّّهُمْ
إِنْ انْتَصَرُوا دَائِمًا، حَصَلَ لِنَفْسِهِمْ طُغْيَانٌ وَضَعْفٌ إِيْمَانٍ،

يُوجِبُ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ وَالْهُوَانُ، وَأَيْضًا لِيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ فِيهِلْهُمْ وَيُفْنِيَهُمْ

لَا تَطْنُؤُوا- يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ- أَنْ تَنَالُوا شَرَفَ دُخُولِ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ تُبَيِّنُوا، وَيَرَى اللَّهُ تَعَالَى- وَاقِعًا ظَاهِرًا- الْمَجَاهِدِينَ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِهِ، وَيَرَى كَذَلِكَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْجِهَادِ وَعَلَى مَا يَنَالُهُمْ مِنْ مَصَائِبَ وَأَلَامٍ، كَمَا وَقَعَ يَوْمَ أُحُدٍ

وَلَقَدْ كُنْتُمْ- يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ- قَبْلَ مَجِيءِ غَزْوَةِ أُحُدٍ تَتَحَرَّقُونَ شَوْقًا لِمَنَاجِزَةِ الْأَعْدَاءِ، وَتَطْمَعُونَ فِي الْمَوْتِ؛ لَنَيْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا وَقَعَ لِإِخْوَانِكُمْ يَوْمَ بدرٍ، هَا قَدْ حَصَلَ لَكُمْ مَا تَمَنَّيْتُمُوهُ مِنْ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ، وَشَاهَدْتُمْ بِأَمِّ أَعْيُنِكُمْ يَوْمَ أُحُدِ الْمَوْتَ وَأَسْبَابَهُ وَشِدَّتَهُ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنَ النَّاسِ، فَلِمَ لَمْ تَنْتَبِهُوا وَتَصْبِرُوا؛ حَتَّى تَنَالُوا مَا أَرَدْتُمُوهُ مِنْ قَبْلِ؟!

إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ كَسَائِرِ الرِّسَالِ يَمُوتُ كَمَا مَاتُوا فَهُوَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ فِي الدُّنْيَا، فَهَلْ يَعْنِي انْقِضَاءُ أَجَلِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ، أَنْ يَكُونَ مَبْرَرًا لَكُمْ لَتَرْتَدُّوا عَنْ دِينِكُمْ، فَتَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكُمْ كَفَرًا؟! وَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَنْ يُصِيبَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْ ضَرَرٍ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَنْهُ وَعَنْ إِيْمَانِهِ، وَسَيُثِيبُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ قَامُوا بِشُكْرِ نِعَمِهِ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ، كَالَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَاتَّبَعُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَمُوتَ نَفْسُ أَيِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، سِوَاكَ كَانَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ غَيْرَهُ، إِلَّا إِذَا أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ

جلاله، وذلك حين يبلغ الوقت المحدد الذي كتبه الله تعالى لموته، فيستوفي بذلك المدة المضروبة لحياته الدنيا.

وإنَّ مَنْ قَصَدَ بِأَعْمَالِهِ وَسَعْيِهِ طَلَبَ الدُّنْيَا فَحَسَبُ، فسيُؤْتِيهِ اللهُ تعالى مُبْتَغَاهُ مِنْهَا، إِنْ شَاءَ، وليس له في الآخرة من ثوابٍ على تلك الأعمال، وَأَمَّا مَنْ قَصَدَ بِأَعْمَالِهِ وَسَعْيِهِ طَلَبَ ثَوَابِهَا الْآخِرِيِّ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِيهِ- بِإِذْنِهِ- مَا ابْتَغَى، وسيُثِيبُ اللهُ تعالى كُلَّ شَاكِرٍ فَضْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ

كَثِيرُونَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ قَاتَلَ جَمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَلَمْ يَحْمِلْ ذَلِكَ بَقِيَّتَهُمْ عَلَى التَّرْكَ عَنِ دِينِهِمْ، أَوْ عَلَى أَنْ يَتْرَكُوا جِهَادَ عَدُوِّهِمْ، إِنْ أَبْدَانَهُمْ لَمْ تَضْعُفْ، وَهَمَّتْهُمْ لَمْ تَنْتَبِطْ، وَلَمْ يَجْبُنُوا عَنْ جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ بِسَبَبِ مَا نَالَهُمْ مِنْ جِرَاحٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَدَى فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ تَضْعُفْ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ تَخْرُ قُورَاهُمْ؛ بِسَبَبِ مَا أَصَابَهُمْ، وَلَمْ يَذُلُّوا لِعَدُوِّهِمْ، وَاللهُ تعالى يَحِبُّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى طَاعَتِهِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَيُحِبُّ مَنْ صَبَرَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ سُبْحَانَهُ

وَلَمْ يَكُنْ لَدَى الرَّبِّينِ مِنْ قَوْلٍ يَنْطِقُونَ بِهِ، سِوَى: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِفْرَاطَنَا فِي جَمِيعِ شُؤُونِنَا، وَتَجَاوُزْنَا الْحُدُودَ فِيهَا، اسْتَرْ ذَلِكَ وَتَجَاوَزْ عَنِ الْمَوَازِئَةِ بِهِ، وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا عِنْدَ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ وَامْنَحْنَا الْفَوْزَ عَلَى الْكُفَّارِ

فَمَنْحَهُمُ اللهُ تعالى بِفَضْلِهِ جِزَاءً فِي الدُّنْيَا، كَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالظَّفَرِ بِالْغَنَائِمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَضَمَّ لَهُمْ مَعَ أَجْرِ الدُّنْيَا جِزَاءَ الْآخِرَةِ الْحَسَنَ، مِنَ الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللهِ تعالى، وَالْخُلُودِ فِي دَارِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، إِنَّ اللهَ تعالى جَازَاهُمْ بِالْإِحْسَانِ الدُّنْيَوِيِّ

والأخروي؛ لإحسانهم العمل؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ كلَّ محسِنٍ في عبادته سبحانه، وفي تعامله مع مخلوقاته

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْذَرُوا مِنْ طَاعَةِ الْكُفَّارِ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وفيما يَنْهَوْنَكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّ طَاعَتَهُمْ تَحْمِلُكُمْ عَلَى الْإِرْتِدَادِ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، الَّذِي عَاقِبَتُهُ الْهَلَاكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

فَلَا تُطِيعُوهُمْ خَوْفًا مِنْهُمْ، أَوْ طَلَبًا لِنُصْرَتِهِمْ، وَاسْتَغْنُوا عَنْ مَوَالِيَتِهِمْ؛ فَهَم لَنْ يَنْصُرُوكُمْ، بَلْ عَلَيْكُمْ أَنْ تُطِيعُوا اللَّهَ الَّذِي يَتَوَلَّاهُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَنُصْرِهِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ مَنْ يَجْلِبُ لَكُمْ النُّصْرَ سَنَدْخُلُ الْخَوْفَ وَالْفَزَعَ الشَّدِيدَ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ، وَسَبَبُ قَذْفِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، هُوَ وَقُوعُهُمْ فِي الشَّرِكِ، الَّذِي لَا حُجَّةَ وَلَا دَلِيلَ عَلَى صِحَّتِهِ، وَإِنَّ النَّارَ سَتَكُونُ الْمَصِيرَ الْأَخْرَوِيَّ لِأُولَئِكَ الْمَشْرِكِينَ، وَسَاءَتْ النَّارُ مَقَامًا لِكُلِّ ظَالِمٍ

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَنْجَزَ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ يَوْمَ أُحُدٍ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَهُوَ نَصْرُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ حِينَ جَعَلْتُمْ تَسْتَأْصِلُونَهُمْ بِقَتْلِهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَذَلِكَ قَدْ وَقَعَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى شَرْعًا وَقَدَرًا، وَلَمَّا اسْتَوَلَى عَلَيْكُمْ الضَّعْفُ وَالْخَوَرُ، وَجَبْنْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ، وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ رُمَاتِكُمْ؛ هَلْ يَلْزَمُونَ نُغُورَهُمْ- كَمَا عَهْدَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْ يَتَحَرَّكُونَ لَجَمْعِ الْغَنَائِمِ، وَعَصَى بَعْضُكُمْ فِي النِّهَايَةِ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مَا تُحِبُّونَهُ مِنْ انْهِزَامِ الْكُفَّارِ، وَتَوَلَّيْتُمْ الْأَدْبَارَ، فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، حَلَّتْ بِكُمْ الْهَزِيمَةُ،

إِنَّ بَعْضًا مِنْكُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- قَدْ ابْتَغَوْا الدُّنْيَا، وَهُمْ الرُّمَاءُ الَّذِينَ تَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ وَأَخَذُوا فِي جَمْعِ الْغَنَائِمِ وَالْخُطَايَا الْفَانِي يَوْمَ

أُحْدُ، والبعض الآخر كانوا يرغبون في أجر الآخرة الباقي، وهم الرُّمَّةُ الذين لزموا مقاعدَهم التي أقعدَهم فيها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ردَّ اللهُ وجوهكم عن الكفار، فصارت الدائرة عليكم؛ امتحاناً من الله تعالى لكم، ليتميز الطَّائِعُ من العاصي، والصَّابِرُ على البلاء من الجازع، ولقد تجاوز اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن عقوبة استئصالكم جميعاً أيُّها الرُّمَّةُ، لمعصيتكم الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستبدلَ بها عقوبةً أخفَّ وطأةً عليكم، وهي إلحاق الهزيمة بكم، وقَتْلُ بعضكم، إِنَّ الله تعالى صاحبُ الفضلِ على جميع المؤمنين؛ لأجل ما معهم من إيمانٍ، ومن ذلك: العَفْوُ عَمَّا يَقَعُ منهم من عِصْيَانِ

اذكروا- أيُّها المؤمنون- حين كنتم تَجِدُون في الفِرَارِ والإبعادِ في الأرض، ولا أحدَ منكم يَلْتَقِثُ إلى غيره أو يَنْظُرُ إليه؛ إذ لم يكن لديكم من همٍّ سوى النَّجاةِ من الأعداء، والرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خَلَفْتُمُوهُ وراءَ ظُهوركم ممَّا يلي جِهَةَ العَدُوِّ، وهو يدعوكم- أيُّها المؤمنون- إلى التَّوَقُّفِ عن الفِرَارِ والثبات، فلم تَلْتَقِثُوا إليه، وبسبب ما قُتِمَ به من الفِرَارِ وعدم الاستجابة للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُحُدَ، جازاكم اللهُ تعالى بغمٍّ نبأَ مَقْتَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعظمُّ من بَقِيَّةِ الغُمومِ التي نالكم، كفوات النَّصْرِ والغنائم، وإصابتكم بالقتل والجراح؛ وذلك لأنَّا يُصِيبُكم الحزنُ على ما ذهبَ عنكم من النَّصْرِ والغنائم، ولا على ما نالكم من جراح، وما أصاب إخوانكم من قتل، فيُنْسِيكم سماعُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ذلك كُلَّهُ، أو يُخَفِّفُ من وطْأَتِهِ عليكم، والله تعالى هو وحده العالمُ ببواطنِ ما تَعْمَلُونَهُ من خيرٍ أو شرٍّ أيُّها المؤمنون

ثم أنزل الله عليكم- أيها المؤمنون- بعد كل تلك الغموم التي أصابكم يومَ أُحُد، أنزل عليكم ما به حلُّول الأمان، وحصول الاطمئنان في قلوبكم، وهو النعاس الذي غشي أهل الإيمان من بين من خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد، وجماعة أخرى ممن خرجوا لم يعشهم النعاس من شدة قلقهم واضطرابهم وخوفهم وجزعهم، وهم المنافقون الذين لا همَّ لديهم غير أنفسهم التي يحذرون من قتلها، يظنُّ هؤلاء ظنونًا كاذبةً، كما هو ديدنُ أهل الجهل بالله تعالى، وذلك حين رأوا هجمةَ المشركين على المسلمين، وإعمال القتل فيهم؛ إذ ظنُّوا أنَّ دينَ الله تعالى مُضمحلٌّ وأتباعه مهزومون، يقولون: ليس لنا من الأمر شيء ولا نملك قرار الخروج للقتال، قل- يا محمَّد- لهؤلاء المنافقين: إنَّ جميعَ الأمور، مُبتدأها ومنتهاها لله تعالى وحده لا شريك له، فهو الذي يُصرِّفها كيف شاء، ويُدبِّرُها كيفما أراد، فجميعُ الأمور بقضائه وقدره، ومن ذلك خروجُكم للقتال، وما يقع فيه من نصرٍ أو هزيمة، يُضمر أولئك المنافقون في نفوسهم ما لا يُظهرونه لك- يا محمَّد، إنَّ الذي كانوا يُخفونه عنك هو قولهم فيما بينهم مُتَحَسِّرين وناذمين: لو كان لنا في شأن الخروج لهذا القتال نصيبٌ من الرأي والاختيار في ذلك، لَمَّا اتَّخذنا قرارًا بالخروج من المدينة مُطلقًا، ولَمَّا وقعت في صفوفنا مَقْتَلَةٌ، قل- يا محمَّد- لأولئك المنافقين- ردًّا على قولهم الذي أسروه وأطلعك الله تعالى عليه-: إِنَّمَا وَقَعَ مَا وَقَعَ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَهُوَ حُكْمٌ مَاضٍ لَا بَدَّ أَنْ يَنْفُذَ، فَحَتَّى لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيْوتِكُمُ الَّتِي لَيْسَتْ بِمِطْنَةٍ لَوْ قَوَّعَ الْقَتْلُ فِيهَا، فَسَيَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَأْتِي الْمَوْضِعَ الَّذِي يَلْقَى فِيهِ

مصرعه، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ عَلَيْكُمْ الْخُرُوجَ وَالْقَتْلَ؛ لِيَخْتَبِرَ قُلُوبَكُمْ، وَلِيَمِيزَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ، وَيُظْهِرَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ لِلنَّاسِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ مَا تَكُنُّهُ صُدُورُ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَمُجَازٍ كَلًّا مِنْهُمْ بِحَسْبِهِ.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَوْا مِنْكُمْ، وَانْهَزَمُوا يَوْمَ تَلَاقَى جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ بَأْحَدٍ، إِنَّمَا أَوْقَعَهم الشَّيْطَانُ فِي تِلْكَ الزَّلَّةِ، وَمَا تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِسَبَبِ بَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَلَقَدْ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ مَعَاقِبَتِهِمْ، فَلَمْ يُؤَاخِذْهُمْ عَلَى فِرَارِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَسْتُرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُواخَذَةِ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي يُمَهِّلُ عِبَادَهُ؛ لِيَتُوبُوا، فَلَا يُعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا تُصَيِّرُوا مِثْلَ الْكَفَّارِ الَّذِينَ قَالُوا قَوْلًا مُنْكَرًا نَاشِئًا عَنْ اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ بِالْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدَرِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ عَنْ إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بِلَادِهِمْ سَفَرًا لِأَجْلِ التِّجَارَةِ وَطَلَبِ الْمَعِيشَةِ، أَوْ خَرَجُوا غَزَاةً لِلْقِتَالِ، فَمَاتُوا فِي سَفَرِهِمْ، أَوْ قُتِلُوا فِي غَزْوِهِمْ: لَوْ أَقَامُوا مَعَنَا فِي بِلَادِنَا وَلَمْ يَخْرُجُوا كَمَا فَعَلْنَا نَحْنُ لَمَّا مَاتُوا فِي سَفَرِهِمْ، وَلَمَّا قُتِلُوا فِي غَزْوِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ هَذَا الْقَوْلَ وَهَذَا الْإِعْتِقَادَ نَدَامَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَهَمًّا، فَتَزْدَادُ مَصِيبَتُهُمْ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَمْلِكُ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ، فَلَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ أَوْ يُقْتَلَ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ أَجَلِهِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرَى كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافَرُهُمْ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ

إِنكُمْ إِذَا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَصَابَكُمْ الْمَوْتُ فِي سَبِيلِهِ
أَيْضًا، فَهَذَا أَمْرٌ حَسَنٌ يَنْبَغِي أَنْ تَطْمَعُوا فِيهِ، وَتَتَنَافَسُوا عَلَيْهِ؛
لَأَنَّهُ مَوْصِلٌ إِلَى نَيْلِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَذُنُوبِكُمْ، وَشُمُولِ رَحْمَتِهِ
عَلَيْكُمْ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ لَكُمْ مِنَ الْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَجَمْعِ حُطَامِهَا
الْفَانِي، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الدُّنْيَا

وَإِنْ أَصَابَكُمْ الْمَوْتُ أَوْ الْقَتْلُ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ
فِي النِّهَايَةِ هُوَ الْعُودَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُجَازِيكُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ،
فَأْتِرُوا مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُونُوا مُطْمَئِنِّينَ وَمُسْتَبْشِرِينَ
لِلْقَائِهِ سُبْحَانَهُ

فَبِسَبَبِ رَحْمَةِ اللَّهِ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ- يَا مُحَمَّدُ- أَلَّا نَ قَلْبِكَ لَهُمْ،
فَكُنْتَ سَهْلًا وَرَقِيقًا فِي تَعَامُلِكَ مَعَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ- يَا مُحَمَّدُ- جَافِيًا
سَيِّئِ الْخُلُقِ، قَاسِي الْقَلْبِ مَعَ أَتْبَاعِكَ، لَنَفَرُوا مِنْكَ وَفَارَقُوكَ،
فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ فِيمَا أَخْطَؤُوا أَوْ قَصَرُوا فِيهِ مِنْ حَقِّكَ، وَاطْلُبِ
الْمَغْفِرَةَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا أَخْطَؤُوا أَوْ قَصَرُوا فِيهِ مِنْ حَقِّ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاطْلُبْ رَأْيَهُمْ فِيمَا حَزَبَكَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ
وَالْمُسْتَنْبِهَةِ، فَإِذَا صَحَّ عَزْمُكَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ بَعْدَ اسْتِطْلَاعِ
آرَاءِ أَصْحَابِكَ فِيهِ، فَاْمُضْ فِيهِ مُعْتَمِدًا عَلَى حَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى
وَقُوَّتِهِ، وَاثْقَا بِهِ فَحَسْبُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُعْتَمِدِينَ فِي
جَمِيعِ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِ

إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بَأْنَ يَكُونَ النِّصْرُ حَلِيفَكُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ-
فَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَكُمْ أَحَدٌ مُطْلَقًا مَهْمَا بَلَغَ قُوَّةٌ وَكَثْرَةٌ، وَإِذَا تَرَكَكُمْ اللَّهُ
تَعَالَى وَخَلَّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ، وَوَكَّلَكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ، فَلَا يُمَكِّنُ
لَأَيِّ أَحَدٍ مُطْلَقًا أَنْ يَنْصُرَكُمْ مِنْ بَعْدِ خِذْلَانِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ، وَعَلَى
اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، لَا عَلَى أَيِّ أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَاعْتَمِدُوا- أَيُّهَا

المؤمنون- في جلب الخير ودفع الضرر، ومن ذلك النصر على الأعداء، ودفع شرهم

وليس الغلول- وهو كتمان الغنيمة، وغيرها من أوجه الخيانة- من صفات الأنبياء؛ فذلك محالٌ وممتنعٌ على من اختارهم الله تعالى لمقام النبوة، ولا ينبغي شرعاً لأحد أن يخونهم، أو يُنسب إليهم هذه الصفة الشنيعة، ومن يخن من غنائم المسلمين شيئاً فإنه يجيء يوم القيامة بنفس الشيء الذي أخذه على سبيل الخيانة، ثم تُعطى كل نفس يوم القيامة جزاء ما عملت كاملاً غير منقوص، فلا ينقص من حسناتهم، ولا يزداد في سيئاتهم

هل من ترك الغلول وانتهى عن غيره من المعاصي، وعمل بطاعة الله تعالى، قاصداً بذلك نيل رضا الله سبحانه، هل هو كالذي رجع متحملاً غضب الله عز وجل عليه بوقوعه في العصيان، أو بترك طاعة الرحمن، فاستحق بذلك الإقامة في جهنم، وما أسوأه من مصير يرجع إليه !

إن للمتابعين رضوان الله تعالى مراتب متفاوتة في العلو، كما أن لمن باؤوا بسخط الله سبحانه درجات متفاوتة في السفل، والله تعالى مطلع على كل ما يعملُه عباده من طاعة أو معصية، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو حافظ لأعمالهم، وسيجازي كلًّا منهم بحسبها

لقد أنعم الله تعالى على عباده المؤمنين بأن أرسل إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم من جنسهم البشري، فيألفونه ويفهمون خطابه، ويتمكنون من مجالسته والتحدث إليه، يقرأ عليهم القرآن، ويأمرهم بكل خير، وينهاهم عن كل شر حتى

تَطَهَّرَ نَفُوسُهُمْ مِنْ دَنَسِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَرِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ مُنْغَمِسِينَ فِي جَاهِلِيَّةٍ جَهْلَاءَ، وَحَيْرَةٍ عَمِيَاءَ، وَانْحِرَافٍ وَاضِحٍ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى

أَحِينَ حَلَّتْ بِكُمْ مُصِيبَةُ غَزْوَةِ أُحُدٍ بِقَتْلِ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ، مَعَ أَنَّكُمْ نَلْتُمُ قَبْلَهَا فِي بَدْرِ ضِعْفِي مَا نَالُوا مِنْكُمْ عَدَدًا، بِقَتْلِ سَبْعِينَ، وَأَسْرَ سَبْعِينَ آخَرِينَ، أَحِينَهَا تَقُولُونَ: مِنْ أَيْنَ جَرَى عَلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ، وَكَيْفَ حَلَّتْ بِنَا هَذِهِ الْكَارِثَةُ؟! قُلْ- يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُؤْمِنِينَ: هَذِهِ الْمَصِيبَةُ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَيْكُمْ فِي أُحُدٍ إِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا هُوَ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَذَلِكَ حِينَ تَنَازَعَ بَعْضُكُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَعَصَوْا أَمْرَ رَسُولِهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ: قُدْرَتُهُ عَلَى إِيْقَاعِ الْعُقُوبَةِ بِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، كَمَا حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَأَيْضًا هُوَ قَادِرٌ عَلَى نَصْرِكُمْ، فَلَا تَطْنُؤُوا بِهِ غَيْرَ الْحَقِّ

إِنَّ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْكُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ وَالْهَزِيمَةِ يَوْمَ التَّقِيْمِ أَنْتُمْ وَالْمَشْرِكُونَ بِأُحُدٍ، إِنَّمَا وَقَعَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرِهِ، وَلَأَجْلِ تَمْيِيزِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَثَبَّتُوا مِنْ غَيْرِهِمْ

إِنَّ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- كَانَ أَيْضًا لِأَجْلِ تَمْيِيزِ الْمُنَافِقِينَ الْمُنَافِقِينَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ لَمَّا دُعُوا لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ أُحُدٍ، أَوْ لِأَجْلِ دَفْعِ الْعَدُوِّ عَنِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، امْتَنَعُوا عَنِ الْمَشَارَكَةِ مُتَعَلِّلِينَ بِغُذْرِ قَبِيحٍ، وَقَائِلِينَ بِكَذِبٍ صَرِيحٍ: لَوْ نَعَلُمْ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَسِرْنَا مَعَكُمْ، وَلَكِنْ لَا نَرَى أَنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَشْرِكِينَ قِتَالٌ، إِنَّ أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا

في تلك الحال التي امتنعوا فيها عن مشاركة المسلمين في قتال المشركين، كانوا أقرب إلى الكفر من الإيمان، ومن صفاتهم أنهم يقولون خلاف ما يضمرون في أنفسهم ، ومن ذلك قولهم: لَوْ (نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ)؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا وَقَوَّعَ الْقِتَالَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِ بِمَا يَكْتُمُهُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، وَهُوَ مَطَّلَعٌ عَلَيْهِ وَمُظْهِرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَسَيُجَازِيهِمْ بِهِ

إِنَّ أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: لَوْ سَمِعَ مَنْ قُتِلَ مِنْ قَرَابَاتِنَا بِأُحْدٍ مَشُورَتِنَا بِتَرْكِ الْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ- لَمَا قُتِلُوا هُنَاكَ؛ اعْتِرَاضًا مِنْهُمْ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ، وَطَعْنًا مِنْهُمْ فِي طَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَمَرَ بِالْخُرُوجِ، فَحَصَلَ فِيهِ مِنَ الْقَتْلِ مَا حَصَلَ، قُلْ- يَا مُحَمَّدٌ- لِلْقَائِلِينَ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: امْنَعُوا وَقَوَّعَ الْمَوْتَ عَلَيْكُمْ بِالْقَعُودِ عَنِ الْقِتَالِ، إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ أَنَّ الْمَرْءَ يَسْلُمُ مِنَ الْقَتْلِ بِالْقُعُودِ عَنْهُ

وَلَا تَظُنَّنَّ- يَا مُحَمَّدٌ- أَنَّ الشُّهَدَاءَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ الدِّينِ- كَأَصْحَابِكَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي أُحُدٍ- أَمْوَاتًا لَا يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَتَنَعَّمُونَ، بَلْ هُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ؛ فَهُمْ أَحْيَاءٌ حَيَاةً خَاصَّةً عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، مُتَنَعِّمِينَ فِي رِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاسِعِ

إِنَّ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَهُ، مَسْرُورُونَ بِمَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ، مِنَ النَّعِيمِ الْمُبْهِجِ، وَالْمُنْعَةِ الْعَظِيمَةِ، جُودًا وَكَرَمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءَ مَسْرُورُونَ أَيْضًا وَيُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ مَا زَالُوا أَحْيَاءً فِي عَالَمِ الدُّنْيَا يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا

اسْتَشْهِدُوا لِحِقْوَا بِهِمْ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُمْ خَوْفٌ مِنْ أَيٍّْ أَمْرٍ
مُسْتَقْبَلٍ، أَوْ حُزْنٍ عَلَى أَيٍّْ أَمْرٍ قَدْ مَضَى، بَلْ هُمْ آمِنُونَ دَائِمًا،
وَفَرَحُونَ أَبَدًا

إِنَّ الشُّهَدَاءَ يَفْرَحُونَ بِمَا حَبَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ،
وَبِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ الْكَرِيمِ، وَزِيَادَةِ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ،
وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَفِظَ لِأَوْلَئِكَ الشُّهَدَاءِ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ
وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَعْطَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَجُورَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
سَبْحَانَهُ، وَهَكَذَا كُلُّ مُؤْمِنٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتْرُكُهُ، بَلْ يُثَبِّتُهُ
عَلَى مَا قَدَّمَ

الَّذِينَ أَجَابُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
بِالنُّهُوضِ مُجَدَّدًا لِرَدِّ هَجُومِ مُتَوَقِّعٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَخَرَجُوا فِي
طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا حِمْرَاءَ الْأَسَدِ وَذَلِكَ عَقَبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ مُبَاشَرَةً،
عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا أَلَمَ بِهِمْ مِنْ جِرَاحٍ وَآلَامٍ جَسَدِيَّةٍ، وَأُخْرَى نَفْسِيَّةٍ
بِسَبَبِ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ فِي أُحُدٍ، إِنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
مِنْهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَامْتَثَلُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَى
عَنْهُ، لَهُمْ ثَوَابٌ جَزِيلٌ، وَأَجْرٌ وَاسِعٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ كَفَّارَ فُرَيْشٍ قَدْ أَعَدُّوا الْعُدَّةَ
لِلْكَرَّةِ عَلَيْكُمْ، وَأَنَّهُ لَا قِبَلَ لَكُمْ الْآنَ بِقِتَالِهِمْ فَخَافُوهُمْ وَاحْذَرُوهُمْ،
فَلَمْ يَجْبُنُوا وَلَمْ يَتَزَعَّرْ عَزَّوَا، بَلْ مَنَحَهُمْ ذَلِكَ التَّخَوُّفُ زِيَادَةً فِي
الطَّمَأْنِينَةِ، وَقُوَّةً فِي الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَقَالُوا: إِنَّا وَكَلْنَا أَمْرَنَا إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لِيَكْفِينَا شَرَّ أَعْدَائِنَا؛ فَهُوَ سَبْحَانَهُ نِعَمٌ مَنْ يُوثِقَ بِهِ
فِي تَقْوِيضِ الْأُمُورِ

فَانصَرَفَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ تَأْهُبًا
لِرَدِّ الْمُشْرِكِينَ، انصَرَفُوا مِنْ مَنَاطِقَةِ حِمْرَاءِ الْأَسَدِ دُونَ أَنْ
يَلْقُوا بِهَا عَدُوًّا، رَاجِعِينَ بِأَجْرِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَبِالْأَرْبَاحِ الَّتِي

نالوها من الاتِّجارِ هناك، لم يَنْلُهم أيُّ أدَى أو مَكْرٍ مِنْ عَدُوِّهم،
ورَجَعُوا أَيْضًا بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ؛ فَقَدْ أَرْضَوْا اللَّهَ تَعَالَى
بِاسْتِجَابَتِهِمْ لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَانْقِيَادَهُمْ لِرِسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ لِرَدِّعِ الْأَعْدَاءِ،

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَاحِبُ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ وَالْإِحْسَانِ الْعَمِيمِ عَلَى
عِبَادِهِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

إِنَّمَا الْمَخَوْفُ لَكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يُوقِعَ
فِي قُلُوبِكُمُ الْخَوْفَ مِنْ أَنْصَارِهِ جَزْبَ الْمُشْرِكِينَ لِتَرْهَبُوهُمْ، فَلَا
تَخَافُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَخَافُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَحْدَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ فَهُوَ الَّذِي يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَمْلَأُ
قُلُوبَهُمْ أَمْنًا، وَيَكْفِيهِمْ شَرَّ أَعْدَائِهِمْ

وَلَا يُصِيبُكَ الْحَزَنُ - يَا مُحَمَّدُ - مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُبَادِرُونَ
بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ مُتَعَجِّلِينَ الْوُقُوعَ فِي الْكُفْرِ، أَوِ التَّوَعُّلَ فِيهِ، إِنَّ
هَؤُلَاءِ لَنْ يُلْحِقُوا بِاللَّهِ بِمَسَارِعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ
الضَّرَرِ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَسَارِعَتِهِمْ فِي
الْكُفْرِ أَنْ يَخْذُلَهُمْ، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ أَيُّ نَصِيبٍ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ،
قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، وَإِنَّهُمْ مَعَ جِرْمَانِهِمْ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، لَهُمْ
عُقُوبَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَا يُصِيبُونَ اللَّهَ تَعَالَى
بِأَيِّ ضَرَرٍ كَانَ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْفُسَهُمْ؛ فَبِذَلِكَ
يَسْتَحِقُّونَ عُقُوبَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ

لَا تَظُنَّ - يَا مُحَمَّدُ - وَلَا يَظُنُّ الْكَفَّارُ كَذَلِكَ، أَنَّ إِطْلَانَنَا لَهُمْ فِي
أَعْمَارِهِمْ، وَتَرْكُهُمْ يَتِمَّتْعُونَ فِي دُنْيَاهُمْ، وَعَدَمَ مُعَاجَلَتِهِمْ
بِالْعُقُوبَةِ - أَنَّهُ خَيْرٌ وَكَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ وَدَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ

لهم ورضاهُ عنهم كما يبدو في الظاهر، فحقيقة الأمر أن ذلك شرٌ عليهم، وإنما منحهم الله تعالى إطالة العمر وسعة الرزق وحصول النصر وغير ذلك؛ من أجل أن يكتسبوا المزيد من الآثام؛ فتكثر سيئاتهم، وإن لهؤلاء الكفار المستكبرين عقوبة تُذلهم وتُهيئهم

إنه من الممتنع على حكمة الله عز وجل أن يدع عباده المؤمنين على ذات الحال التي هم عليها من اختلاطهم بالمنافقين تحت مُسمى (الإسلام) الذي يجمعهم، من دون أن يُعرف هذا من هذا، بل لا بد أن يجعل كل واحد منهما مُتميزًا عن الآخر، مُنفصلًا عنه بلا لبس بينهما؛ ولذا يعقد الله تعالى أسبابًا من المحن يُظهر فيها وليه، ويُفضح فيها عدوه، كما فعل بهم يوم أُحد، ومن الممتنع على حكمة الله تعالى أيضًا أن يُطلعكم على ضمائر قلوب عباده؛ كي يُظهر لكم المؤمنين من المنافق، لكن الله عز وجل يختار بعض رُسُلِهِ عليهم الصلوة والسلام؛ ليُطلعهم على بعض الغيبات بحكمته وإذنه سبحانه، ومن ذلك: إطلاعه محمدًا صلى الله عليه وسلم على عددٍ من المنافقين، فحَقَّقُوا إيمانكم بالله وجميع رُسُلِهِ بالتصديق التام، والانقياد والاستسلام؛ فهذا هو المطلوب منكم، فإنكم إذا حَقَّقْتُم المطلوب منكم بالإيمان بالله ورُسُلِهِ، وامتثلْتُم ما أمركم به الله ورُسُلُهُ، واجتنبْتُم ما نهاكم الله عنه ورُسُلُهُ، إن قُمْتُم بذلك؛ فقد استحقَقْتُم نيل ثواب من الله تعالى كبير

ولا تظننَّ - يا مُحَمَّدُ - ولا يظننَّ هؤلاء الذين يشحُّون بأموالهم التي رَزَقَهُم الله تعالى؛ كرمًا منه عن أداء حقِّه فيها، أن بخُلهم هذا خيرٌ لهم من العطاء الذي يُنقص المال كما يبدو في الظاهر،

ليس الأمر كما يظنون؛ فامتناعهم عن أداء حقّ الله تعالى فيما رزقهم من أموالٍ بخلاً منهم، هو في حقيقة الأمر شرٌّ لهم، ومضرةٌ عليهم في دينهم ودنياهم، سيّجعل الله المالَ الذي بخلوا به طَوْقاً يُحِيطُ بأعناقهم، ويُعَذِّبون به يوم القيامة وإنَّ كلَّ أملاك الخلق مرْدُّها بعدَ فنائهم إلى الله تعالى وحْدَه؛ فهو المالكُ ذو المَلَكُوت، والحيُّ الباقي الَّذي لا يموت؛ فأنفقوا في حياتكم ممّا جعلكم الله عزَّ وجلَّ مُستخلفين فيه فلا مَعْنَى للبخل بشيءٍ زائلٍ عنكم إلى غيركم. وإنَّ الله عزَّ وجلَّ مُطَّلِعٌ على خفايا أعمال الخلق ومُطَّلِعٌ على نيّاتهم وضمائرهم، وسيجازيهم على أعمالهم ونيّاتهم بحسبها

لقد سمع الله جلَّ جلاله قولَ اليهود الذين قالوا: إنَّ الله فقيرٌ إلينا؛ لأنَّه طلبَ ممّا أن تُقرضَه من أموالنا! ونحن أغنياء عنه! سيكتبُ الله عزَّ وجلَّ ما قالوه في شأنه من الإفك والفريّة عليه ورضاهم واستحلالهم لما قام به أسلافهم من أفعالٍ فظيعةٍ بقتلهم أنبياءه سبحانه دون حُجّةٍ أو عُذرٍ يُسوِّغ لهم فَعَلَ ذلك؛ سيكتبُ الله ذلك ويَحْفَظُه عليهم؛ ليُجازيهم به، ويقولُ يومَ القيامةِ لأصحابِ تلك المقالةِ الشنيعةِ في حقِّه سبحانه: ذوقوا عذابَ النَّارِ المحرقة. إهانةٌ وإذلالاً

يُقال لهم: ذلك العذاب المخزي إنَّما استحقَّقتموه بسببِ ما اكتسبتموه في حياتكم من آثامٍ؛ ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ حَكَمٌ عدلٌ لا يظلم أحداً، فلا يُجازي كلَّ نفسٍ إلّا بما كسبت، دون أن يَنْقُصَ من حسناتها شيئاً أو يزيِدَ على سيّئاتها شيئاً

هؤلاء اليهود الذين قالوا كذباً وافتراءً على الله تعالى: إنَّ الله أوْصانا بوصيّةٍ مُؤكِّدةٍ في كُتُبنا وعلى السِّنةِ رُسُلُه إلّا ننقاد

مُؤْمِنِينَ وَمُذْعَنِينَ لِكُلِّ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُثَبِّتَ صِدْقَ رِسَالَتِهِ بِأَمْرِ وَاحِدٍ، وَهُوَ: أَنْ يَجِيءَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الصَّدَقَاتِ، فَإِنْ أَكَلْتَهُ النَّارُ كَانَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى قَبُولِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ ذَلِكَ وَصِحَّةَ رِسَالَتِهِ مِنْ رَبِّهِ، قُلْ- يَا مُحَمَّدُ- لَهَؤْلَاءِ الْيَهُودِ؛ رَدًّا عَلَى مَا زَعَمُوهُ مِنْ افْتِرَاءٍ: قَدْ أَتَى أَسْلَافَكُمْ- يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ- رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ بَعَثْتِي، بِالْحُجَجِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تُثَبِّتُ صِدْقَ رِسَالَتِهِمْ، وَأَتَوْهُمْ أَيْضًا بِالَّذِي أَدَّعَيْتُمْ مِنْ تَقْدِيمِهِمْ قَرَابِينَ تَأْكُلُهَا النَّارُ، فَلِمَ قَامَ آبَاؤُكُمْ إِذِنْ بَقُلْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ الْإِيمَانَ بِرَسُولٍ يَأْتِي بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ؟! فَتَبَيَّنَ بِهَذَا كَذِبُهُمْ، وَعِنَادُهُمْ وَتَنَاقُضُهُمْ، وَظَهَرَ أَنَّهُ لَيْسَ امْتِنَاعُهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِعَدَمِ ظُهُورِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ

فَإِنْ كَذَّبَكَ -يَا مُحَمَّدُ- هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ، فَلَا يُؤْهِنُكَ وَلَا يَحْزُنُكَ ذَلِكَ، وَلَكَ أُسْوَةٌ بِمَنْ قَبْلَكَ؛ فَأَنْتَ لَسْتَ بِأَوَّلِ مَنْ يُكَذِّبُ، بَلْ كُذِّبَ عَدَدٌ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ أَنَّهُمْ أَتَوْا أَقْوَامَهُمْ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ السَّاطِعَةِ، وَبِالْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى الْمَوَاعِظِ وَالزُّوَاجِرِ، الْمُضِيئَةِ لَطَرِيقِ الْحَقِّ بِذِكْرِ الْأَحْكَامِ الْعَادِلَةِ وَالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ

إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا بُدَّ أَنْ يُدْرِكَهَا الْمَوْتُ، فَتَنْتَقِلَ بِذَلِكَ مِنْ عَالَمِ الْفَنَاءِ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ، وَلَا يُؤَدِّي إِلَيْكُمْ كَامِلُ الْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ- خَيْرُهَا وَشَرُّهَا- إِلَّا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ نُجِّيَ عَنِ النَّارِ وَجُئِبَهَا وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَقَدْ نَجَا وَظَفِرَ بِعَظِيمِ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا مِنْ لَذَاتٍ وَشَهَوَاتٍ إِلَّا مُجَرَّدُ مُنْعَةٍ زَائِلَةٍ تَخْدَعُ صَاحِبَهَا؛ فَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَرْكُنَ إِلَيْهَا

لَتُخْبِرُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ بِوُقُوعِ الْمَصَائِبِ فِيهَا: كَتَلْفَهَا، أَوْ حُصُولِ النِّقْصِ مِنْهَا، وَلَتُمْتَحِنَنَّ أَيْضًا فِي أَنْفُسِكُمْ: بِأَمْرِكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ خَوْفٍ وَجِرَاحٍ وَأَسْرِ وَقَتْلٍ، أَوْ بِإِصَابَتِكُمْ بِمَرَضٍ فِي أَبْدَانِكُمْ، أَوْ مَوْتٍ أَحَدِ أَبْنَائِكُمْ، وَإِنْ أَعْدَاءُكُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ لَا يَدَّ أَنْ يُؤْذَوْكُمْ كَثِيرًا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ تَكَرَّرُ طَعْنُهُمْ فِي دِينِكُمْ، وَالنُّطْقُ بِمَعْقِدَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ، فَإِذَا تَسَلَّحْتُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِسِلَاحِ الصَّبْرِ عَلَى مَا يُصِيبُكُمْ مِنْ بَلَاءٍ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، وَعَلَى مَا تَسْمَعُونَهُ مِنْ أَدَى فِي دِينِكُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَاسْتَعْمَلْتُمْ التَّقْوَى بِفِعْلِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ- فَإِنَّ ذَلِكَ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَيَنْبَغِي تَوْطِينَ النَفْسِ عَلَيْهَا

وَاذْكُرْ- يَا مُحَمَّدُ- حِينَ عَاهَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَهْدًا مُوَكَّدًا: بِأَنْ يُبَيِّنُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ لِلنَّاسِ وَلَا يُخْفُونَهُ أَبَدًا، وَمِنْ ذَلِكَ صِفَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِثْبَاتُ رِسَالَتِهِ، فَفَقَضُوا هَذَا الْعَهْدَ، وَتَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ كِتْمَانُهُمْ صِفَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّاسِ، وَأَرَادُوا مُقَابِلَ نَقْضِهِمْ عَهْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِكِتْمَانِهِمْ مَا فِي كُتُبِهِمْ- الْحَصُولُ عَلَى حُظُوظِ دُنْيَوِيَّةٍ خَسِيسَةٍ مِنْ مَنَاصِبَ أَوْ أَمْوَالٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَبُسَّتِ الصَّفْقَةُ صَفْقَتُهُمْ، وَمَا أَخْسَرَهَا مِنْ تِجَارَةٍ! لِأَنَّهُمْ اخْتَارُوا الدُّنْيَا الْخَسِيسَ، وَتَرَكَوا الْعَالِيَّ النَّفِيسَ

لَا تَظُنُّنَّ- يَا مُحَمَّدُ- الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا فَعَلُوهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ بَاطِلَةٍ: كَالْيَهُودِ الَّذِينَ كَتَمُوا الْعِلْمَ، وَكَالْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَأَعْمَالِ الْمُتَزَيِّنِينَ لِلنَّاسِ

المُرَائِينَ لَهُمْ بِمَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُحِبُّونَ أَنْ يُثْنِيَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ، عَلَى طَاعَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَقُومُوا بِهَا، لَا تَظُنُّهُمْ- يَا مُحَمَّدٌ- فِي سَلَامَةٍ وَنَجَاةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَحَقُّوا عَذَابًا مُؤَلِّمًا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ فِيمَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَمِيعَ مَا فِيهِمَا مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ كَمَالُ الْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ

إِنَّ فِي ابْتِدَاعِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِيجَادِهِ مِنَ الْعَدَمِ هَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَإِتْقَانِ الصَّنْعِ وَكَثْرَةِ الْمَخْلُوقَاتِ وَتَعَدُّدِ الْمَنَافِعِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى الْعِبَادِ وَتَفَاوُتِهِمَا طَوِيلًا وَقِصْرًا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِنَّ فِي خَلْقِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَجِيبَةِ وَمَا تَحْوِيهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهَرَةِ الْعَظِيمَةِ، لِعَلَامَاتٍ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ الَّتِي تُدْرِكُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، فَتَدُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ خَالِقَ ذَلِكَ هُوَ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا تَدُلُّهُمْ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ أُولَى الْأَلْبَابِ هُمُ الَّذِينَ يُدِيمُونَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى بِقُلُوبِهِمْ وَالسَّنَنَةِ، وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، فِي حَالِ وَقُوفِهِمْ، وَحَالِ جُلُوسِهِمْ، وَحَالِ اضْطِجَاعِهِمْ، وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ يُعْمَلُونَ عُقُولُهُمْ فِي خَلْقِ اللَّهِ لِلْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لَيْسْتَدُلُّوا بِذَلِكَ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا، وَيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْحِكْمِ الدَّالَّةِ عَلَى صِفَاتِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، إِنَّهُمْ حِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَقُولُونَ: إِنَّكَ يَا رَبَّنَا، لَمْ تَخْلُقْ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا وَلَا لَهْوًا؛ فَأَنْتَ مُنْزَعٌ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّكَ خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ وَلَأَمْرٍ عَظِيمٍ،

فَأَجْرُنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ، بَأْنَ تُوقِّعُنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَتُجَبِّبُنَا
بِفَضْلِكَ الذُّنُوبَ وَالسَّيِّئَاتِ

إِنَّ مَنْ أَدْخَلْتَهُ النَّارَ يَا رَبَّنَا، فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَفَضَحْتَهُ، وَهُوَ إِنَّمَا
دَخَلَ النَّارَ بِظُلْمِهِ، وَلَيْسَ لِلظَّالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ تَعَالَى

يَا رَبَّنَا، إِنَّنَا قَدْ سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِلنَّاسِ: آمِنُوا بِرَبِّكُمْ، فَبَادَرْنَا إِلَى
الِاسْتِجَابَةِ لَهُ، فَأَقْرَرْنَا بِالْحَقِّ وَقَبَّلْنَاهُ، مُنْقَادِينَ إِلَيْهِ، وَمُذْعِنِينَ لَهُ،
يَا رَبَّنَا بِإِيمَانِنَا وَاتِّبَاعِنَا نَبِيَّكَ، اسْتَرْنَا عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا، وَتَجَاوَزْنَا عَنْ
مُؤَاخَذَتِنَا بِهَا، وَامْحُ عَنَّا خَطَايَانَا، وَاجْعَلْنَا إِذَا قَبِضْتَ أَرْوَاحَنَا
إِلَيْكَ فِي عِدَادِ الصَّالِحِينَ

وَأَعْطِنَا- يَا رَبَّنَا- مَا وَعَدْتَنَا بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ، مِنَ التَّنَصُّرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَمِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ، وَلَا تَفْضَحْنَا بِذُنُوبِنَا عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، وَلَا تُذَلِّلْنَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا بِأَنَّكَ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ لِعِبَادِكَ

فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلَئِكَ الدَّاعِينَ، بِأَنَّ عَمَلَ كُلِّ عَامِلٍ مِنْهُمْ
مَحْفُوظٌ لَدَيْهِ؛ قَلًّا أَوْ كَثْرًا، وَسَوَاءٌ كَانَ صَادِرًا مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَنْثَى؛
فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ فِي الثَّوَابِ وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، مِثْلًا أَنَّهُ لَا فَرْقَ
بَيْنَهُمْ فِي اتِّبَاعِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا، وَطَرَدَهُمُ
الْمَشْرِكُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ أَوْ ضَايَقُوهُمْ حَتَّى أَلْجَوْهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ
مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمُ الْأَذَى بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى
وِطَاعَتِهِمْ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ،
وَقَتَّلُوا، مِثْلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ أَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ؛ بِسَبَبِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ مِنْ هِجْرَةٍ

وجهادٍ وغير ذلك ، يمحو الله تعالى عنهم خطاياهم، ويُسكنهم جنّاتٍ تجري من تحت أشجارها وقصورها أنواعٌ من الأنهار؛ جزاءً عظيمًا لهم على ما قدّموا، من عند الله تعالى العظيم الكريم، إنّ الله عزّ وجلّ عنده الجزاء الحسن لمن عمل صالحًا لا تتدعّ - يا محمّد- بظاهر ما عليه الكفّار من تردّدٍ على البلاد، وتنقّلٍ فيها بأنواع التّجارات والمكاسب، بما يجعلهم في بحبوحة في العيش، وترّف في الحياة، وعزٍّ وغلبة في بعض الأوقات

إنّ هذا الذي عليه الكفّار إنما هو لذائذُ فانيةٌ؛ فزمنها محدودٌ، وتنتهي بانقضاء أعمارهم، وهي مُتعةٌ قليلةٌ كمّا وكيفًا، إنهم مُنتقلون بعد مماتهم وذهاب مُتّعهم، إلى الإقامة في نار جهنّم، وبئس الفراش والمقرّ هي

أمّا الذين امتثلوا ما أمر الله تعالى به، واجتنبوا ما نهى عنه، فإنهم يُمتعون في الدار الآخرة في جنّاتٍ تجري من تحت أشجارها وقصورها أنواعٌ من الأنهار، وهم ماکثون في هذا النّعيم على الدّوام، إنّ الله تعالى قد أعدّ لهم تلك الجنّات منزل ضيافةٍ دائمةٍ من كرامةٍ الله تعالى لهم، وإنّ ما عند الله تعالى من النّعيم والكرامة خيرٌ للطّائعين- الذين أحسنوا العمل- من متاع الدّنيا القليل الزّائل

وإنّ طائفةً من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى يؤمنون بالله تعالى حقّ الإيمان، ويقرّون بوحدهانيّته، ويؤمنون أيضًا بالقرآن، الذي أنزل على محمّد صلى الله عليه وسلّم، ويؤمنون أيضًا بالكتب السابقة، التي أنزلها الله تعالى إليهم كالّتوراة، والحال أنّهم خاضعون لله تعالى، مُستكينين له ومُتذلّلين، لا يُحرّفون ما في كُتُبهم، ولا يُبدّلونه، ولا يكتُمون ما فيها من

العِلْم- وَمِنْ ذَلِكَ الْبَشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيَانُ صِفَتِهِ لِلنَّاسِ-؛ لِيَحْصُلُوا فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ عَلَى مَتَاعِ دُنْيَوِيٍّ زَائِلٍ، مِنْ مَنْصَبٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِنَّ لَأَوْلَئِكَ الْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ ثَوَابًا عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، إِنَّ حِسَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرِيبٌ؛ لِسُرْعَةِ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّه سُبْحَانَهُ يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي مُدَّةٍ وَجِزَةٍ جَدًّا

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، اصْبِرُوا عَلَى جَمِيعِ مَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ، كَالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِهِ سُبْحَانَهُ، وَغَالِبُوا بِالصَّبْرِ أَعْدَاءَ الدِّينِ، حَتَّى تَنْتَصِرُوا عَلَيْهِمْ؛ فَلَا يَكُونُوا أَصْبَرَ مِنْكُمْ، وَالزَّمُوا الْإِقَامَةَ فِي الثُّغُورِ؛ لِمَنْعِ الْعَدُوِّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَالنَّفُوزِ مِنْهَا إِلَى مُبْتَغَاهِ، وَاسْتَعْمِلُوا تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الْفَوْزِ بِالْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

يَا أَيُّهَا النَّاسُ حَقَّقُوا تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَالِقُكُمْ وَمَالِكُكُمْ وَمُدَبِّرُكُمْ، الَّذِي أَوْجَدَكُمْ جَمِيعًا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ آدَمُ، وَأَوْجَدَ مِنْ آدَمَ امْرَأَتَهُ حَوَاءَ، وَنَشَرَ مِنْ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ أَعْدَادًا كَثِيرَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ -بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكَم عَنْهُ-؛ الَّذِي يَسْأَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهِ فَيَقُولُ: أَسَأَلَكَ بِاللَّهِ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَاحْذَرُوا مِنْ أَنْ تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ،

وَتَقَرَّبُوا فِي أَدَاءِ حَقِّهِمْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُرَاقِبٌ لِّجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ، وَحَافِظٌ لِّهَا

وَأَعْطُوا -يَا مَعَشَرَ أَوْصِيَاءِ الْيَتَامَى- أَمْوَالَهُمْ إِلَيْهِمْ كَامِلَةً إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ وَرَشَدُوا، وَلَا تَأْخُذُوا مَالَ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَتَرَكُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنْ اسْتِدْالِ الْخَبِيثِ بِالطَّيِّبِ، وَمِنْهُ أَيْضًا أَنْ يَأْخُذَ الْوَلِيُّ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ النَّفِيسَ، وَيَجْعَلَ بَدْلَهُ مِنْ مَالِهِ الْخَسِيسَ، وَلَا تَضُمُّوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى إِلَى أَمْوَالِكُمْ؛ بِقَصْدِ أَنْ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ، إِنَّ ذَلِكَ إِثْمٌ عَظِيمٌ

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَحَقِّقُوا فِي تَزْوِجِكُمْ بِيَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي تَحْتَ وَلَا يَتَكُمْ، الْعَدْلَ مَعَهُنَّ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِنَّ، فَانكِحُوا غَيْرَهُنَّ مِمَّنْ تَطِيبُ بِهِنَّ نَفُوسُكُمْ، اثْنَتَيْنِ مِنَ النِّسَاءِ، أَوْ ثَلَاثًا، أَوْ أَرْبَعًا، فَإِنْ خَشِيتُمْ عَدَمَ إِقَامَةِ الْعَدْلِ بِتَعْدَادِ النِّسَاءِ، فَلْتَقْتَصِرُوا عَلَى التَّزْوِجِ بِوَاحِدَةٍ فَحَسْبُ، أَوْ اقْتَصِرُوا عَلَى الْجَوَارِي السَّرَّارِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْكُمُ الْقِسْمُ بَيْنَهُنَّ، فَذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى تَحْقِيقِ الْعَدْلِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ

وَأَعْطُوا مَنْ أَرَدْتُمْ الزَّوَاجَ بِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ مُهُورَهُنَّ، عَطِيَّةً وَاجِبَةً، طَيِّبَةً بِهَا نَفُوسُكُمْ، فَإِنْ وَهَبَ لَكُمْ نِسَاؤُكُمْ -أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ- مُهُورَهُنَّ أَوْ بَعْضًا مِنْهَا، عَنْ رِضَا وَطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُنَّ بِذَلِكَ فَخُذُوهُ حَلَالًا طَيِّبًا لَكُمْ، لَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا تَبِعَةَ

وَلَا تُعْطُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا - يَقُومُ بِهَا عَيْشُكُمْ، وَصَلَاحُ دُنْيَاكُمْ- لَا تُعْطُوهَا لِمَنْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِي الْمَالِ، وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ وَحِفْظَهُ؛ إِمَّا لَعَدِمَ عَقْلَهُ كَالْمَجْنُونِ، أَوْ لَعَدِمَ رُشْدَهُ كَالصَّغِيرِ، أَوْ لَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى لَوْ كَانَ هَذَا الْمَالُ مَالَهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ أَوْصِيَاءُ، وَلَكِنْ أَنْفَقُوا

مِن تِلْكَ الْأَمْوَالِ عَلَى طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ، وَمَا يَتَعَلَّقُ
بِضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ كَمَسْكَنِهِمْ، وَلِيَتَكَمَّ تَجَرُّونَ لَهُمْ فِي مَالِهِمْ؛
كَيْ يَنْمُوَ وَيَكُونَ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّبْحِ، لَا مِنْ أَصْلِ الْمَالِ،
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا طَيِّبًا، هَيِّئًا وَلِيًّا بَغِيرَ مَنْ وَلَا أَدَى

وَاخْتَبِرُوا عُقُولَ الْإِيْتَامِ مِمَّنْ تَحْتَ وَلَايَتِكُمْ، وَأَفْهَامِهِمْ،
وَصَلَاحَ دِينِهِمْ، وَقُدْرَتَهُمْ عَلَى إِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ وَذَلِكَ قُبِيلٌ
وُصُولُهُمْ سِنَّ الْبُلُوغِ، فَإِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ، وَأَدْرَكْتُمْ مِنْهُمْ حُسْنَ
تَصَرُّفٍ، وَقُدْرَةً عَلَى إِصْلَاحِ الْأَمْوَالِ فَأَعْطُوهُمْ أَمْوَالَهُمْ كَامِلَةً،
وَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ، وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهَا شَيْئًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ،
فَتَتَجَاوَزُوا فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ،
وَلَا تَأْكُلُوهَا فِي حَالِ صِغَرِهِمْ اسْتِعْجَالًا مِنْكُمْ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ
يَكْبُرُوا فَيَأْخُذُوهَا مِنْكُمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْيَتَامَى فِي غَنِيَةٍ
عَنْ أَمْوَالِهِمْ، فَلْيَتَنَزَّهْ عَنْ أَخْذِ أَجْرَةٍ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ نَظِيرَ قِيَامِهِ
عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِحَسَبِ مَا جَرَى
الْعُرْفُ عَلَى أَنَّهُ يَسُدُّ حَاجَتَهُ وَيَكْفِي مِثْلَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ، فَإِذَا سَلَّمْتُمْ
-يَا مَعْشَرَ أَوْلِيَاءِ الْيَتَامَى- أَمْوَالَهُمْ إِلَيْهِمْ، فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ بِقَبْضِهَا
كَامِلَةً مِنْكُمْ؛ لئَلَّا يَقَعَ مِنْهُمْ لَاحِقًا إِنْكَارٌ لِمَا تَسَلَّمُوهُ، وَكَفَى اللَّهُ
تَعَالَى مُحَاسِبًا وَشَاهِدًا وَرَقِيبًا عَلَى أَوْلِيَاءِ الْيَتَامَى

إِنَّ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ يَسْتَوُونَ فِي أَصْلِ الْوَرَاثَةِ فِي حُكْمِ اللَّهِ
تَعَالَى؛ فَكُلُّ يَنَالُ مِنَ الْإِرْثِ قِسْطًا وَحِصَّةً، مِمَّا خَلَفَهُ الْمَيِّتُ،
وَإِنْ تَفَاوَتُوا بِحَسَبِ مَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ مِنْهُمْ بِمَا يُدْلِي بِهِ
إِلَى الْمَيِّتِ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ زَوْجِيَّةٍ أَوْ وِلَاةٍ، سِوَاءِ كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا
ذَلِكَ النَّصِيبُ لِكُلِّ مِنْهُمْ، حِصَّةٌ وَاجِبَةٌ، مَعَيَّنَةُ الْمِقْدَارِ

وَإِذَا حَضَرَ تَوْزِيعَ الْمِيرَاثِ الْأَقَارِبُ غَيْرُ الْوَارِثِينَ،
وَالْأَيْتَامُ، وَالْمَحْتَاجُونَ فَأَعْطَوْهُمْ شَيْئًا مِمَّا تيسَّرَ مِنْ هَذِهِ التَّرَكَةِ؛
بِرًّا بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَجَبْرًا لِحَوَاطِرِهِمْ بِمَا لَا يَضُرُّكُمْ؛ فَإِنَّ
نُفُوسَهُمْ مَتَشَوِّفَةٌ إِلَيْهِ، وَلْتَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا، تَطْيِبُ بِهِ
نُفُوسُهُمْ

وَلْيَخَفِ الَّذِينَ لَوْ مَاتُوا وَتَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْلَادًا صَغَارًا
ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمُ الظُّلْمَ وَالضِّيَاعَ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ فِيمَنْ تَحْتَ
أَيْدِيهِمْ مِنَ الْيَتَامَى، وَذَلِكَ بِحِفْظِ أَمْوَالِهِمْ، وَالْحَذَرِ مِنْ ظُلْمِهِمْ،
وَلْيَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا صَوَابًا مُوَافِقًا لِلْعَدْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْحِكْمَةِ.
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ حَقِّ،
سَيُعَاقِبُونَ عَلَى ذَلِكَ بَأْسًا تَتَجَجَّجُ فِي بُطُونِهِمْ نَارٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَيُحَرِّقُونَ بَنَارًا مُشْتَعِلَةً، مُتَوَقِّدَةً، شَدِيدَ حَرِّهَا

يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فِي شَأْنِ مِيرَاثِ أَوْلَادِكُمْ بِالنِّسْبَةِ بَيْنَهُمْ
ذُكُورًا وَإِنَاثًا فِي أَصْلِ الْإِسْتِحْقَاقِ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي
أَوْلَادِ الْمَيِّتِ ذُكُورٌ وَإِنَاثٌ فَإِنَّا نُعْطِي الذَّكَرَ ضِعْفَ مَا نُعْطِي
الْأُنْثَى، فَإِنْ كَانَ بَنَاتُ الْمَيِّتِ أَكْثَرَ فِي الْعَدَدِ مِنْ اثْنَتَيْنِ -مَهْمَا بَلَغَ
عَدْدُهُنَ- فَإِنَّهُنَّ يَسْتَحَقُّنَ ثُلْثِي التَّرَكَةِ، وَإِنْ خَلْفَ الْمَيِّتِ بَنَاتًا
وَاحِدَةً فَإِنَّ لَهَا نِصْفَ التَّرَكَةِ، وَإِنْ لِكُلِّ مِنَ الْوَالِدِ الْمَيِّتِ وَوَالِدَتِهِ
السُّدُسَ مِنَ التَّرَكَةِ إِنْ كَانَ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَاحِدًا
أَوْ جَمَاعَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَيِّتِ وَلَدٌ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَلَهُ أَبٌ
وَأُمٌّ، فَإِنَّ لَأُمِّهِ ثُلْثَ التَّرَكَةِ، وَلِلْأَبِ مَا بَقِيَ مِنْهَا، وَإِذَا وَرِثَ
الْمَيِّتُ أَبَوَاهُ، وَكَانَ لَهُ إِخْوَةٌ، سِوَاءَ كَانُوا أَشْقَاءَ، أَوْ لَأَبٍ، أَوْ لَأُمٍّ،
وَسِوَاءَ كَانُوا اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، فَإِنَّ لِلْأُمِّ سُدُسَ التَّرَكَةِ، وَلِلْأَبِ مَا
بَقِيَ مِنْهَا. هَذِهِ الْمَوَارِيثُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى، إِنَّمَا تُسْتَحَقُّ

لأهلها ممَّا تَبَقَّى مِنْ تَرْكَةِ الْمَيِّتِ بَعْدَ تَنْفِيذِ وَصِيَّتِهِ الْمَشْرُوعَةِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ، وَقَضَاءِ دُيُونِهِ. إِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى لِلآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ نَصِيبَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، كُلٌّ بِحَسَبِهِ، وَلَمْ يَرُدَّ تَقْدِيرَ الْإِرْثِ إِلَى عُقُولِ النَّاسِ وَاخْتِيَارِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ أَيُّ الْأَوْلَادِ أَوْ الْوَالِدِينَ أَنْفَعُ لَهُمْ، وَأَقْرَبُ لِحَصُولِ مَقَاصِدِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ، وَهَذَا التَّقْسِيمُ الْمُقَدَّرُ لِلْمِيرَاثِ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، قَدْ حَكَّمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْأَخْذَ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَمَقْدَارِ مَا يَسْتَحَقُّهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَاكِمُ عَلَى عِبَادِهِ، الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ: وَضَعُهُ حَقَّ الْمِيرَاثِ فِي أَهْلِهِ الْمُسْتَحَقِّينَ لَهُ، وَتَقْدِيرُهُ مَا يَسْتَحَقُّهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَحْسَنِ تَقْدِيرٍ

ولكم-أيُّها الأزواج- نصفُ تَرْكَةِ زَوْجَاتِكُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِنَّ، إِذَا مَثَنَ عَنْ غَيْرِ وَلَدٍ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ، فَإِنْ كَانَ لَزَوْجَاتِكُمْ وَلَدٌ، ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، وَاحِدٌ أَوْ أَكْثَرُ، فَلَكُمْ رُبْعُ تَرْكَةِ زَوْجَاتِكُمْ، وَذَلِكَ الْفَرَضُ لَكُمْ تَسْتَحِقُّونَهُ مِمَّا تَبَقَّى مِنْ تَرْكَةِ أَزْوَاجِكُمْ بَعْدَ تَنْفِيذِ وَصِيَّتِهِنَّ الْمَشْرُوعَةِ الثَّابِتَةِ عَنْهُنَّ، وَقَضَاءِ دُيُونِهِنَّ. وَلَزَوْجَاتِكُمْ-أيُّها الأزواج- رُبْعُ مَا تَرَكْتُمْ بَعْدَ وَفَاتِكُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ وَأَصَابَكُمْ الْمَوْتُ فَإِنَّ لَزَوْجَاتِكُمْ ثُمْنَ مَا تَرَكْتُمْ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ زَوْجَاتُكُمْ ذَلِكَ النَّصِيبَ مِمَّا تَبَقَّى مِنْ تَرْكَتِكُمْ بَعْدَ تَنْفِيذِ وَصِيَّتِكُمْ الْمَشْرُوعَةِ الثَّابِتَةِ عَنْكُمْ، وَقَضَاءِ دُيُونِكُمْ. وَإِنْ كَانَ الْمَتَوَفَّى-رَجُلًا كَانَ أَوْ امْرَأَةً- قَدْ تَوَفَّى عَنْ غَيْرِ وَلَدٍ وَلَا وَالِدٍ، وَلَهُ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ أَوْ الْأَخْتِ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا-أَيُّ: الْأَخِ أَوْ الْأَخْتِ- سُدُسَ التَّرَكَةِ، فَإِنْ كَانَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ مِنْ جِهَةِ أُمِّ الْمَيِّتِ الْمَوْرُوثِ كَلَالَةً-رَجُلًا كَانَ الْمَيِّتُ

أو امرأة- أكثرَ مِنْ واحدٍ، فلهُمْ جميعًا ثَلَاثُ التَّرَكَةِ يَقْتَسِمُونَهَا ذُكُورًا وَإِنَاثًا بَيْنَهُم بِالنِّسَاوِي، وَهَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَخِي المَيِّتِ المَورُوثِ كَاللَّاهِ وَأَخِيَّتِهِ، أَوْ لِأَخَوْتِهِ وَأَخَوَاتِهِ، إِنَّمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ بَعْدِ تَنفِيْذِ وَصِيَّتِهِ المَشْرُوعَةِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ وَقَضَائِ دِيُونِهِ غَيْرِ مَقْصُودٍ بِهَا الإِضْرَارُ بِالْوَرَثَةِ بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ الوُجُوهِ، كَأَن يَحْرَمَ بَعْضَ الوَرَثَةِ حَقَّهُمْ أَوْ يَنْقُصَهُ، أَوْ يَزِيدَ عَلَيْهِ. هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَحْكَامٍ فِيمَا يَجِبُ مِنْ مِيرَاثٍ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ، عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْكُمْ، وَجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَلْتَزِمُوا بِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الحَلِيمُ الَّذِي لَا يُعَاجِلُ مَنْ عَصَاهُ بِالعُقُوبَةِ تِلْكَ الفَرَائِضُ وَالمَقَادِيرُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْوَرَثَةِ، هِيَ حَدُودُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ؛ فَيَجِبُ الوُقُوفُ مَعَهَا، وَعَدَمُ تَجَاوُزِهَا، وَمَنْ يَتَّبِعْ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرَ رَسُوْلِهِ، وَيَجْتَنِبْ نَهْيَهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ المَوَارِيثِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا أَنهَارٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهُمْ فِي هَذَا النِّعَمِ مَا كَثُرَ عَلَى الدَّوَامِ وَذَلِكَ الرِّيحُ الكَبِيرُ، وَالفَلَاحُ مُنْقَطِعُ النُّظِيرِ

وَمَنْ يُخَالِفْ أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُوْلِهِ، فَيَتْرَكَ المَأْمُورَاتِ، وَيُرْتَكِبِ المَنْهِيَّاتِ، وَيَتَجَاوِزُ حَدُودَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، تَغْيِيرًا لِمَا حَكَّمَ اللَّهُ بِهِ، وَمُضَادَّةً لَهُ فِي حُكْمِهِ، أَوْ شَكًّا فِيمَا فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ المَوَارِيثِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُهُ نَارَ جَهَنَّمَ، مَا كُنَّا فِيهَا، وَلَهُ عَذَابٌ مُذِلٌّ يُخْزِيهِ

وَإِذَا وَقَعَ نِسَاؤُكُمْ فِي الزَّانَا -مُتَزَوِّجَاتٍ كُنَّ أَوْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَاتٍ- فَاطْلُبُوا لِإثْبَاتِ وَقُوعِهنَّ فِي الزَّانَا أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنْ

المسلمين الغدول، فإن شهدوا على وقوعهن في الزنا، فاحبسوهن في البيوت؛ عقاباً لهن، لا يُمكّن من الخروج منها إلى أن يمتن أو يُصير الله تعالى لهنّ طريقاً ومخرجاً للخلاص من هذا الإمساك بتشريع حكم لهنّ، وقد كان؛ فقد جعل الله لهنّ سبيلاً، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي؛ قد جعل الله لهنّ سبيلاً؛ البكر بالبكر جلدٌ مئةً ونفْيُ سنةٍ، والثيبُ بالثيبِ، جلدٌ مئةٍ والرجمُ))

إنَّ الرَّجُلَ والمرأة إذا زَنَيَا، فأدوهما بالتوبيخ والتعيير وغير ذلك من أنواع الإيذاء، فإن رجعا عن الوقوع في الزنا، ونَدِمَا عليه، وعَزَمَا على ألا يعودَا إلى اقتراف ذلك، وأصلحَا دينَهُمَا بالعمل بما يُرضي الله تعالى؛ فكُفُوا عن أذيتَهُمَا، إِنَّ الله تعالى يُوقِفُ عبادَه للتَّوبَةِ، وَيَقْبَلُهَا منهم، وهو ذو الرَّحْمَةِ العَظِيمَةِ بعبادِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ هَيَّأَهُم للتَّوبَةِ، وَقَبِلَهَا منهم وهذه الآية والتي قبلها منسوختان

إنَّمَا يَقْبَلُ اللهُ تعالى التَّوبَةَ مِمَّنْ عَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا صَدَرَ عَنْ سَفَاهِهِ مِنْهُ، وَكُلُّ عَاصٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فهو جاهِلٌ، وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بالتَّحْرِيمِ، إِنَّ الله تعالى يَقْبَلُ توبَةَ العبدِ إِذَا تَابَ حَالَ حَيَاتِهِ، قَبْلَ مُعَايِنَةِ المَوْتِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ يَرْزُقُهُمُ اللهُ تعالى-دُونَ مَنْ لَمْ يَتُبْ- إِنْابَةً إِلَى طَاعَتِهِ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُمْ أَوْبَتَهُمْ إِلَيْهِ، إِنَّ الله تعالى ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ: عِلْمُهُ بِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا، وَمِنْ حِكْمَتِهِ تَوْبَتُهُ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ

إِنَّ مَنْ يَرْتَكِبُونَ الْمُحَرَّمَاتِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَوْبَتَهُمْ حِينَ يَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ سَاعَةً الْاِحْتِضَارِ وَبُلُوغِ الرُّوحِ الْخُلُقُومَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا تَوْبَةً مَنْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ؛ فَحَالُهُمْ أَشْبَهُ بِحَالِهِمْ فِي انْعِدَامِ الرَّجَاءِ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ، إِنَّ الْكَفَّارَ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ عَذَابًا مُوجِعًا شَدِيدًا

يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ-أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنْ تَسْتَحْوِذُوا عَلَى زَوَاجَاتِ مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِكُمْ وَأَقَارِبِكُمْ، وَكَأَنَّهُنَّ مِنْ جَمَلَةِ تَرَكَتِهِمْ، وَذَلِكَ كَأَنْ تَتَزَوَّجُوهُنَّ، أَوْ تَزَوَّجُوهُنَّ لِغَيْرِكُمْ، أَوْ تَمْنَعُوهُنَّ مِنَ الزَّوْاجِ، وَالحَالُ أَنَّهُنَّ كَارِهَاتٌ لَذَلِكَ مُكْرِهَاتٌ عَلَيْهِ، وَيَحْرُمُ عَلَيْكُمْ-أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ- أَنْ تُضَيِّقُوا عَلَى أَزْوَاجِكُمْ فِي الْعِشْرَةِ وَتَقْهَرُوهُنَّ؛ لِتُلْجِئُوهُنَّ إِلَى افْتِدَاءِ أَنْفُسِهِنَّ مِنْكُمْ، بِتَرْكِ مُهُورِهِنَّ أَوْ بَعْضِ مِنْهَا، أَوْ بَتْنِازِلِهِنَّ عَنْ أَيِّ حَقٍّ آخَرَ مِنْ حُقُوقِهِنَّ؛ لِتُفَارِقُوهُنَّ، لَكِنْ يَحِلُّ لَكُمْ عَضْلُ زَوَاجَاتِكُمْ وَالضَّرَارُ بِهِنَّ بِالْعَدْلِ إِذَا وَقَعَنَّ فِي الزَّانَا أَوْ النَّشُورِ، حَتَّى يَفْتَدِينَ أَنْفُسَهُنَّ مِنْكُمْ بِالنَّازِلِ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِهِنَّ-كَالْمَهْرِ أَوْ بَعْضِهِ- مِنْ أَجْلِ أَنْ تَفَارِقُوهُنَّ، وَصَاحِبُوا-أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ- زَوَاجَاتِكُمْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَصَاحِبُوهُنَّ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِنَّ مِنَ النِّفَقَةِ وَالْكَسْوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَبِمَا يَتَعَارَفُ عَلَيْهِ النَّاسُ وَلَا يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ، وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَبْرُكُمْ مَعَ إِمْسَاكِكُمْ لَهُنَّ وَكَرَاهِيَّتِهِنَّ، فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ كَأَوْلَادٍ تُزَرِّقُونَهُمْ مِنْهُنَّ، أَوْ تَزُولُ كَرَاهَتُكُمْ لَهُنَّ، وَتَخْلُقُهَا مُحَبَّتُهُنَّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ

وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ-أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ- أَنْ يُطْلِقَ زَوْجَتَهُ، وَيَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى، وَالحَالُ أَنَّكُمْ قَدْ أَمَهَرْتُمُوهُنَّ مَهْرًا كَبِيرًا، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ

أَخَذُ شَيْءٍ مِنْهُ عَنُودٌ؛ لِأَنَّهُ حَقُّهَا، وَالتَّهْيُّ عَنْ ذَلِكَ بِالْأُولَى لَوْ كَانَ الْمَهْرُ قَلِيلًا، أَتَأْخُذُونَ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ مِنَ الْمَهْوَرِ كَذِبًا، وَظُلْمًا بَغِيرِ حَقٍّ، وَإِنَّمَا ظَاهِرًا، قَدْ أَبَانَ أَمْرَ أَخِذِهِ أَنَّهُ بِأَخِذِهِ إِيَّاهُ ظَالِمٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْهُ؟!!

عَلَى أَيِّ وَجْهِ تَأْخُذُونَ مِنْ نَسَائِكُمْ مَا أُعْطِيْتُمُوهُنَّ مِنْ مَّهْوَرٍ، وَالحَالُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَتْ بَيْنَكُمْ عِلَاقَةٌ اسْتِمْتَاعٌ وَجَمَاعٌ، وَقَدْ أَخَذَ نَسَائُكُمْ مِنْكُمْ- أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ- عَهْدًا شَدِيدًا مُؤَكَّدًا، وَذَلِكَ بِعَقْدِ النِّكَاحِ، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهِنَّ، وَمِنْ ذَلِكَ: إِمْسَاكُهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحُهُنَّ بِإِحْسَانٍ؟!!

لَا تَنْتَزِجُوا- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- زَوَاجَاتِ آبَائِكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، إِلَّا مَا وَقَعَ مِنْكُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، أَوْ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ؛ فَإِنَّهُ مَعْفُورٌ عَنْهُ، إِنَّ تَزَوُّجَكُمْ بِزَوَاجَاتِ آبَائِكُمْ لَهُوَ فِعْلٌ فِي غَايَةِ الْبَشَاعَةِ وَالْفُجْحِ، وَهُوَ أَمْرٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُبْغِضُهُ النَّاسُ، وَبِئْسَ هَذَا الْأَمْرُ طَرِيقًا لِمَنْ سَلَكَه!

حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- التَّزَوُّجَ بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَبَنَاتِكُمْ، وَأَخَوَاتِكُمْ، وَعَمَّاتِكُمْ، وَخَالَاتِكُمْ، وَبَنَاتِ إِخْوَانِكُمْ، وَبَنَاتِ أَخَوَاتِكُمْ؛ فَهَؤُلَاءِ مُحَرَّمَاتٌ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا عَلَيْكُمْ أَيْضًا نِكَاحَ أُمَّهَاتِكُمْ، وَأَخَوَاتِكُمْ مِنْ جِهَةِ الرِّضَاعَةِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا نِكَاحَ أُمَّ الزَّوْجَةِ مَطْلَقًا، سِوَاءَ دَخَلْتُمْ بِابْنَتِهَا أَوْ لَمْ تَدْخُلُوا، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا نِكَاحَ بَنَاتِ زَوَاجَاتِكُمُ اللَّاتِي جَامَعْتُمُوهُنَّ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِزَوَاجَاتِكُمْ فَلَمْ تُجَامِعُوهُنَّ حَتَّى طَلَقْتُمُوهُنَّ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا نِكَاحَ زَوَاجَاتِ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ وَلَدْتُمُوهُمْ، سِوَاءَ دَخَلُوا بِهِنَّ أَوْ لَمْ يَدْخُلُوا، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا

الْجَمْعَ بَيْنِ الْأَخْتَيْنِ بِنِكَاحٍ، إِلَّا مَا وَقَعَ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ أَوْ قَبْلَ
تَحْرِيمِهِ، فَإِنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَفُورٌ، يَسْتُرُ ذُنُوبَ
عِبَادِهِ وَيَتَجَاوَزُ عَنْهَا، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِهِمْ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ مَغْفِرَتُهُ
لِذُنُوبِهِمْ

ar10104v1.0 - 06/09/2026